القسم الثاني

الإملاء

ولا أنزل في هذا المسطور إلا ما ينزل به علي ولست بنبي ولا رسول ولكني وارث ولآخرتي حارث

الشيخ الأكبر

« رؤيـــا »

رأيتني جالساً مع أبي ابراهيم على شاطىء نهر صافي المياه ، وقد جعل أبـي يغمس زجاجات من نوع كولا في الماء . ثم رأيت قريبة لي اسمها لمى تهيء طعاماً بينما كانت أخت لها اسمها نادية تنتظر على مسافة من النهر .

التأويـــل

العلة معلولة . فمن جهة هي علة ومن جهـة هي معلولـة ، والمعلـول مالا أساس له لأنه هو هو من جهة ذاته أما من جهة غيره فمعدوم . وبين العلة والمعلول تفاوت بمعنى أنه إذا وضح المعلوم اتضحت العلة ، ولكن هذا الاتضاح قائم على شروط اتضاح المعلوم فلزم لذلك تفاوت ضروري . والعلة تبعاً لهذا المنهاج الصاعد قائمة على أصل مصدري غير معين ولا متعين ولكنه موجود بذاته وإلا لما صدرت العلة منه فلزم لهذا اتفاق ضمني بين الظواهر (المعلولات) والبواطن (العلل) وباطن البواطن الله أو الحق . وثمة مسألة أخرى هي الجسر الممدود بين هذا الثلاثي ، فهذا الجسر وهمي لا وجود له إلا من حيث تعقله ، وهذا التعقل إشراق ضوئي نوراني لاغير . فمن هنا وجب تعقل إدراكي غير قائم على شروط مسبقة ، ونتيجته اتضاح الأمر لمن كان له قلب أشرق فيه نور البصيرة .

هذا منهج نازل إذا طبقناه على الـرؤيا صارت كما يلي : إبـراهيم الأب هو الروح ، وهو علة العلل ، وشراب الكولا البني إشارة إلى العقل منقوع في ماء علة العلل ، والماء جامع العلل فهو الجوامع وهو ههنا نور .

أما الطعام الذي أعدته لي لمى الحسناء الـدنيوية فهـو ملحـق بطعـام الآلهـة المعنوية ، لأنه مصنوع من مواد محسوسة . فالطعام سابق على لاحق ؛ سابق بوجوده لاحق بانوجاده . أما وجود نادية مع لمى فذلك لربط الأسباب بالنتائج ، وهو ربط

نوراني فلزم لذلك التلاحم النوراني في جميع الجهات حيث لا جهات إلا بالمفاضلة . أما الوجود الحق فهو انتشاري عن واحد مركزي لا أصل له أي لا مركز لأنه هو المركز .

*

« رؤيا »

رأيتني قد دخلت صفاً في مدرسة مع أستاذ ، وكنت سأخلف الاستاذ في تعليم الصف ، فوقفت أخطب الطلاب متجولاً بينهم حتى وصلت إلى طالب كان زميلاً لي في المدرسة واسمه يوسف ، وكان أشقر أبيض أزرق العينين ، فنظرت في عينيه طويلاً وقلت له : سأنبئك بمستقبلك الذي أراه في عينيك . وبينا نحن كذلك إذ ظهر صديق لي كنيته سلطان وقد ارتدى بذلة ضابط عسكري برتبة عميد فهالتني هذه المنزلة التي بلغها صديقي ، وشُدّ نظري إليه فما استطعت أن أحولهما عنه .

التأويل

الهُو هو من حيث ذاته وهي من حيث نفسه . والرحمن بطن الخلق باعتباره هي . وهم ، الخلق ، ظهور بعد احتجاب للحق بهم . فزورق انطلق في البحر بقوة ، بقوة الشراع أو المجذاف أو المحرك ، فالزورق يستتبع انطلاقاً من ذات محركة .. ومن هذا المنطلق ينبغي حمل الوجود على ظواهره المتحركة وباطنه المحرك . وشمس تمد الأرض بشعاعها شمس قوتها فيها وبها ، أما الأرض فمظلمة ، وهي محل تجل لشعاع رحماني . بسم الله الرحمن الرحيم ، فمن الاسم كان الرسم ، ومن الرسم عاد الاسم ، وتلاحَمَ الاثنان فلا اسم ولا رسم ، فالدوامة أظهرت الغير وأخفت الهو فتوحد الحال فلا مقال في هذا الحال .

فالمعلم الذي كان قبلي هو الهُو ، وأنا هُو عن هو ، أي ظهور ثان ، وكلانا معلم بالفعل والقوة . والصف رسوم العالم الخارجي مأخوذة بقوة المعلم . أما يوسف فلقد نُظِر إلى عينه . فيوسف موجود قوة وفعلا باعتباره عيناً وظهورا ، ولهذا كان لون عينيه أزرق والسماء زرقاء خالدة والأرض كامدة مظلمة مشرقة بنور ربها .

أما السلطان الذي صار عميداً في الجيش فذلك من كان محل الخصوصية من أهل الجمعية ، فهو هُوٌّ من حيث الهو وغيره من حيث الغير . وتلاحم ظاهر باطن ، فكان عماد الجيش كله ، أي المعتمد من فوق ومن تحت . ولهذا غرت من هذا المقام الأسنىٰ الذي تفرد به الحق أصلاً وفرّد به شخصاً رسماً فكان رسما . ومن هذه الدرجة الرفيعة جاءت الأنبياء ومن تلا ، وما تلا سواه ، فما هو إلا هو من حيث الذات والأسماء والتكثرات ، و لله الأمر من قبل التسمي ومن بعده .

*

« رؤيـــا »

رأيتني في غرفة كبيرة في بيت قديم وقد دخلت علي امرأتان محجبتان وكان زميل لي اسمه مصطفى جالساً قربي يتظاهر بالعمل على جهاز لاسلكي . ووجهت المرأتان اللوم إلى مصطفى لأنه ترك بيت والديه وعاش وحده ، وسألتاني عن رأيي في الموضوع فقلت أن مهما حدث فلا ينبغي للانسان أن يفارق والديه . ثم وجدتني قد خرجت إلى الطريق مع ابنتي جمانة التي كانت تناقش أمها قائلة : لولا أني كنت على الصراط لما رضي أبي عني . والعجيب أن صوت ابنتي كان صوت قريبة لي اسمها عائشة . ثم وصلنا إلى آخر الخط فقلت لزوجتي وابنتي : فلنركب السيارة من هنا وهي فارغة . فصعدنا من الباب الخلفي . وهنا حَلّت أختي ليلى محل ابنتي فجلست مع زوجتي في مقعد وجلست أنا خلفهما . فأراد الجابي أن يأخذ منا ثمن التذاكر ولكن رجلاً جالساً قربنا احتد وقال للجابي إن الجابي الذي يقف في مقدمة السيارة هو الذي سيقطع التذاكر لأنه أحق بذلك منه .

التأويـــل

المعيّة تقتضي الهو وعينه وإلا فما ثمّ معيّة . والاطراد في الصورة يستتبع تتبعاً

في الحال كقولنا جاء سعيد وزياد ، فالمجيء تم في صورتين (شخصين) ولكن فعل المجيء واحد لا ثان له فافهم .

وعلى هذا ظهرت المرأتان المحجبتان في الرؤيا وسألتاني عن حكم الشخص المفارق والديه فقلت لا ينبغي لأحد أن يفارق والديه مهما حدث . فالمعيّة اقتضت ربط المُحدث بالقديم ، وهو ربط حجابي إذ الظاهر ظهر بباطن بطن فاعكس الآية . قال الحلاج :

وأي الأرض تخلو منك حتى تعالوا يطلبونك في السماء
تراهم ينظرون إليك جهرا وهم لا يبصرون من العماء

وقول ابنتي لي ، وقد تكلمت بصوت امرأة اسمها عائشة ، قولها إنها على الصراط وإلا فما رضيت عنها مفاده أن الدر (جمانة) النوراني حدد الصراط أزلاً وأصلاً ، فاقتضى هذا أن يخرج الفرع من أصل هو الصراط ، فينبني على هذا أن نستعيد الأصول وننفي الفروع كقولنا : **ما موجود سوى الله ، وسعيد موجود ، فسعيد هو الله** . . بمعنى أن سعيد صورة وأن الله عينه وهذا هو الصراط المستقيم .

وركوبي السيارة مع زوجتي سميرة وأختي ليلى من آخر الخط فهو ركوب أصول أي عينيّ قبل أن يكون عيانيا ، فهو ركوب أزلي وبالقوة . والربط يكون على التالي : جاء سعيد وزياد تأخر ثم لحق به فسعيد أصل وزياد لحوق به ، فزياد ظهور متأخر وسعيد ظهور متقدم ونحن بصدد تحديد زماني غير موجود إذ قلنا إن الزمان تدرج ولا وجود له على حقيقته .

أما من احتد وغضب على الجابي الذي أراد أن يقبض الأجر قبل الجابي الأول فهذا حال من نظر إلى الشخص فقال هذا موجود وأما غيره فلا لأنه غائب . وهذا افتقار إلى منطق ، إذ ما كل غائب غير موجود . فالجابي يجبي عن قوة أولاً وعن فعل ثانياً وهذا هو حال الوجود .

والربط يقتضي مربوطاً ورابطاً ، فبين الثالوث سر روحاني اقتضى المعيّة في الأحكام والسلام .

*

« رؤيـــا »

رأيت أبي قد لبس ثياباً قديمة وحمل صحفاً راح يبيعها في السوق فأخذني الغيظ منه ومن تمثيله هذا الدور . . ثم وصلنا معاً إلى الشارع الذي يقع فيه مجلس الشعب فركبنا من هناك عربة انطلقت بنا .

التأويـــل

الرحمن رحمانان ، رحمة عيانية ورحمة عينية . فأما العيانية فلعيان شهوده لمن شهده بنور بصيرته . وهنا ليس في وسع الشاهد أن يقـول هذا هو . فللغائـب حضور ليس هو ، ولكنه هو بمعنى أن الشيئية خلق ثان لازمت الحضور المطلق ، ولهذا وجب النظـر إلى الشيئية كحدث وصورة واعتبار فقط .

هذه ناحية أما الأخرى فهي ضرورة حصر الشيء بين قوسي الماهية . والقوس الأول طوق طوّق الوجود أزلاً وأبداً ، والطوق الثاني انفتاح على شهود عياني يعلمه ذوو العلم واليقين . فبين القوسين مراحل الهُو من نبات إلى حيوان إلى إنسان إلى فناء في بحر الذات . فقل : قوسان هو الوجود لا غير ، فاعتبر وادكر ، فمن غيره أولى بالاعتبار دلالة على نفسه . فحسبه وجوده ، وحسبك شهودك ، وشهودك وجودك ، ووجودك وجوده .

من هذا المنطلق الافتقاري حمل أبي إبراهيم صحف الوجود وباعها في سوق الوجود . فالنور حُمِّل الهوية سطوراً طبعت في صحائف العيان فرآها البصر فعرفتها البصيرة . ولذلك ركبت مع أبي عربة من قرب مجلس الشعب أي عين الجمع . فهنا جنوح إلى شيئية معدومة مشهودة ، ولا جناح في أن شهـوداً ذاتياً كهـذا هو توحيد الكثير ، فإن من رأى الحق خرس ثم نطق ، فكان كلامه نطق ذكرٍ باطنٍ فافهـم أعزك الله بتأييد منه .

*

« رؤيـــا »

ظهر أبي إبراهيم وقال لابني إبراهيم : أنا لم أكن وكنتُ ، وأنت كنت ولم تكن . فقال ابني : وكيف هذا ؟ قال أبي : أنت مني وإنك منك .

التأويـــل

سنتكلم الآن عن قضية وجودية شغلت بال الفلاسفة قروناً طويلة وهي هل الوجود موجود أم غير موجود . فالفلاسفة انقسموا فريقين ، فريقاً منكراً وفريقاً مثبتا . والإنكار قام على صراع الأضداد مما أدى إلى نسف عيون الممكنات ، والإثبات قام على إثبات العيون مما فرق بين الأضداد ووحد . وتاه الفريقان في لجة الحقيقة التي خصت ناساً هم أهل الحقيقة عيون الملأ الأعلى .

فالوجود وجد من عدم بمعنى أنه لم يكن شيئاً فكان . ولكن هذا الانوجاد صاحب حركة كانت أزلية ، ومن هنا يقال لغة كان وصار . ويقال بلغة الفلسفة (كان) لا بمعنى الابتداء . فالعدمية ممكنة في حال عدم الامكان ، ولكن الامكان صاحب الوجود لانبثاقه منه فوجب تعيين حد أول هو ، وجوداً ، غير موجود ، لأننا نقول بالحركة الدائرية .

ويبدو في قولنا شيء من التناقض ، فهل أثبتنا وجوداً بعد عدم أم وجوداً مطلقا ؟ والحق أننا لم نثبت إلا الانوجاد ، أي خلقاً ذاتياً من ذات أبدية . فههنا جمعت المسألة في حدين ، حد القدم ، وحد الإحداث . فإن قلنا عدماً فهو لا وجود ، أي انبثاق من أصل . . وإن قلنا قِدماً فهو وجود ، أي انبثاق من وجود . فالقضية متداخلة بين قِدَم وحَدَث . فلا القائلون بالقدم أصابوا ولا القائلون بالإحداث نجحوا . فبين العلية والمعلولية سر لطيف جمع الحدين القدم والإحداث . فمن طرف هو قديم ومن طرف هو جديد مستجد . فالبحر قديم لكن

أمواجه متجددة علماً ان انبثاق الأمواج هو أصلاً من ذات قديمة لا تتجدد بانبثاق الأمواج .

هذا ما عبرت عنه الرؤيا القائلة : أنا لم أكن وكنتُ.فلم أكن كنتُ في القدم ذاتاً ، وكنتُ صرت ، أي تشخصت.فابراهيم قديم وابنه أو حفيده محدث ، وكلاهما يجمعهما لا قدم ولا إحداث بل خلق بمعنى تواجد . فلا إبراهيم الجد جداً ولا إبراهيم الحفيد حفيدا بل هذا من ذاك فافهم .

*

« رؤيـــا »

رأيتني في بناء عال جداً أطل على الحرم الشريف وقد تجمع فيه الحجاج ملايين متحلقين الكعبة وهم يصلون . وكان بجواري سور من الأسلاك المشبكة جعلت أخرج من فتحة فيه عصافير مختلفة الألوان والأحجام ، فلا أكاد أمسك بالعصفور أتأمله حتى أفلته مشفقاً عليه من أن يبقى سجيناً بين يدي . ثم أخرجت أرنباً أبيض صغيراً لطيفاً رحت أقلبه ، ثم نظرت ورائي إلى جدار فيه طاقة فأدخلت الأرنب في الطاقة وأفقت .

التأويـــل

الدائرة مادار حول نفسه فما خرج عنه . وتلك الدائرة حالكة من جهة المادة مضيئة من جهة الضوء . والوجهان يتراوحان كما تتراوح الأرجل . فمَثل ما يظهر من المادة كمثل ما يظهر من عربة تسافر ليلاً إذا مشت في أرض طينية فما ثم إلا رسم وعلامة . ومثل ما يظهر من الضوء كمثل ما يظهر من العربة نفسها إذا غابت في الظلام فكان مشعلها دلالة عليها . والعربة بين الرسم ـ العلامة والضوء ـ الاسم لا هي مجلوة ولا هي متجلية فافهم هذا . ونحن قد رمزنا إلى العربة بهُو لعدم إمكان

تحديد هويته لا ليلاً ولا نهاراً ، فهو في هذا وذاك . هو ضوء من جهة الماهية ، وظلام مادي من جهة الظهور . واختفاء العربة لازب وإلا فكيف ستثار قضية لها هذا التعقيد والأهمية ؟!

وثمة ناحية أخرى للمشكلة هي اعتماد الكل على الغير ، أي غيرهم ، وهو الله ، واعتماده هو على هم لأنهم ظهوره . فمن جهة كانوا هو ومن جهة كان هم . ولكن تبقى العربة مختفية بينه وبينهم .

هذا السلاح أشهر من أن يشهر في وجه من حاولوا خوض لجة الأسرار لحل غوامضها ، نقول أشهر لأنه خاص بذوي الكشوف الربانية . وتحليل ما كتب الآن عسير على من ليس له نصيب من هذا العلم الذوقي . فلئن عقدنا فلغاية وهي أن يحصر العلم الذوقي بأربابه دون أحبابه وأعدائه . فما كل الأحباء ذوي عزم وقدرة على استيعاب الأسرار ، وليس الأعداء أهلاً لكشف ستار الحقيقة القائمة بهم هم الشطر من شطور أعيان الممكنات ولا يدرون .

والرؤيا أرتني أني في علو ، والناس يحجون حول كعبة القلب الانساني الجامع تحتي ، والعلو هنا علو مطلق عن المادة . وأرتني أني أحاول أن أمسك عصفوراً فإذا فعلت أطلقته لشفقتي عليه . والحكمة أن العصفور لطيف خفيف لا يُمسك وإلا لضاق واختنق . أما إمساكي بالأرنب فممكن لأن الأرنب لا يطير ، وهو لطيف أبيض أليف ، وهو كناية عن الإنسان المتأنس فهذا ظفرت به العلية لإمكان تحققه بها وظهورها به . وإلقائي الأرنب في طاقة البناء العالي رمز لإدخال الروح القدس النفث في الجسم المادي العنصري . فههنا تم خلق آدم من طين ، من صلصال من حمأ مسنون ، ثم نفخ فيه من روح شيث .

ووجه المماثلة بين التأويل وتفسير الحلم أن المركبة حملت ضوء الماهية ، فهي كعبة ، وإن آثارها رسوم العالم فهي أرانب بيض . وإلقاء الأرنب من الطاقة اختلاط بياض الروح بسواد ليل المادة فخرج الانسان الجامع الذي رمز إليه بحج الناس إلى البيت الحرام والكعبة العتيقة من النار .

والمغزى يتضح في الربط بين ألف ومألوف ، وكلاهما وجها عملة واحدة هي الله أو الرحمن من جهة والخلق أو الظواهر الأسمائية من جهة أخرى .

*

« رؤيـــا »

رأيتني ألعب بكُرات بعضها من حجر وبعضهـا الآخـر من طـين جاف ثم ألقيت بالأكر في الفضاء فانتثرت .

التأويـــل

من ألف بسم الله المطوية بيمين الله خرج نور الوجود وهو النور المحمـدي الذي هو البيضة الدرية لعالم الممكنات . ومن هذا النور انفلق الذر الذي تخلقت به عوالم الفضاء ومافيها من نجوم وشموس وكواكب . وثبت في العلوم الذرية أن الذرة أصل العالم ، وهي مكونة من ألكترون وبروتون .

فالألكترون سالب والبروتون موجب ، واختلاف عدد الألكترونات في الذرة الواحدة هو أساس تكوين العناصر . ولم يكشف العلم حتى الآن عن سر حركة الألكترون الدائر حول البروتون ولكن هذا الانجذاب إلى البروتون الواقع في المركز والابتعاد عنه بفعل القوة الطاردة كان أصل الحركة المادية للوجود كله . ولسنا هنا بصدد شرح علمي لأصل الكون ولكننا نريد الربط بين قوة الروح الفاعل وقابلية المادة السالبة لهذه القوى . فالحركة أصلها روحانية ، وستظل كذلك إلى أن يشاء الله لهذا العالم المادي أن ينتهي ، وعندئذ تتعطل القوة الجاذبة الطاردة لعوالم الذر فإذا كل شيء ينحل ويتخلخل ويتطاير ويصبح هباء منثوراً في لحظـات ، ولن يشعـر الناس بما حدث لأنه لن يتاح لهم الزمن الكافي لإدراك أو إحساس ذلك . وتلك رحمة من الله لأهل الأرض عندما تتحد الأرض والكواكب والشموس والنجـوم بعضهـا ببعض فتعود سديماً أول يظل غير متعين بصورة إلى أن يشاء الله أن تبدأ الحياة المادية دورة جديدة لها . قال الإمام المنوفي : العارف يرى في الكون حكمة والفاني لا يرى إلا قدرة .

والنور المحمدي سرمدي باق تعين أم لم يتعين ، فهو أصـل الوجـود المادي

وقانونه الذي انبثقت منه كل القوانين المادية . وهو البيضة النورانية التي سينفلق منها العالم المادي الجديد بعد زوال واندثار رسوم هذا العالم . فالقيامة بالنور المحمدي قائمة وبه سيكون العالم الجديد بدورته الجديدة وللزمان دورات .

« رؤيـــا »

رأيتني في بيت قديم سكنته زمناً في حي اسمه الفواخير ، وكنت جالساً مع جدتي لأمي واسمها وداد، ثم دخلت أختي نجلاء حاملة طبقاً فيه طعام كثير . وبينا نحن نأكل قرع الباب فإذا زوج أختي ناجي في الباب ومعه دراجة عادية حمراء .

التأويـــل

إذا شاء لم يشأ ، فمشيئته متعلقة بمشيئته ، وليس لأحد عليه سلطان . والمشيئة قديمة بمعنى تعلق الوجود بالانوجاد ، فبين الحدين توجد المشيئة . والمشيئة تقوم على إرادة ، ولولا الإرادة ما كانت المشيئة ، فتوجب ترتيب الحدود على النحو التالي : حد مشيئة إضافة إلى الإرادة . والحد أول بمعنى وضع الشيء في مكانه أصلاً ثم إخراجه . وتتعلق المشيئة بإرادة خلاقة وإلا فكيف ستسمى مشيئة . والله شاء لأنه شاء وأصل إرادته إرادة أيضاً . فمنتهى الأمر مشيئة تعلقت بإرادته كقولنا : سعيد شاء أن يرافقه زيد ، فمشيئة سعيد استتبعت قبول صحبة زيد ، وزيد موجود أصلاً قبل المشيئة . وهكذا ترى الأزلية ، أي أزلية الوجود المطلق ، سابقة على المشيئة والإرادة . ولهذا سبق الوجود النعوت ، وسبقت النعوت الانوجاد ، أو ما سميناه الخلق مجازا .

فالحركة الأزلية ظلت دائرة ، دائرياً ، تخرج من إرادة إلى مشيئة إلى انوجاد أو تخلق ثم تعود إلى البداية من جديد . وتحديد نقطة في هذا المسار مستحيل ، ولهذا عطلت اللغة هذا المسار إذ حاولت وصفه ، ولهذا قلنا إذا شاء لم يشأ ، ولهذا وجب

إطلاق الحدود من إسار الحروف التي تعطل أبدية الحركة . فعين الماهية هي الأصل ، وعن العين خرجت الفروع ، والفروع راجعة أصلاً إلى عينها ، وعينها موجودة ، والفروع موجودة إضافة ، أو غير موجودة بذاتها ، والنتيجة خروج ظاهر عن باطن بذاته .

هذه الحركة الأزلية هو ما عبرت عنه الرؤيا بالعودة إلى البيت القديم في الفواخير حيث جدتي العجوز موجودة تعبيراً عن الذات . وقلنا الوداد الود وقال فيه الشيخ الأكبر : الود ثبات الحب أو العشق أو الهوى أية حالة كانت من أحوال هذه الصفة . فإذا ثبت صاحبها الموصوف بها عليها ولم يغيره شيء منها ولا أزاله عن حكمها وثبت سلطانها في المنشط والمكره وما يسوء ويسر في حال الهجر والطرد من الموجود الذي يجب أن يظهر فيه محبوبه ولم يبرح تحت سلطانه لكونه مظهر محبوبه سمي لذلك وداً وهو قوله تعالى سيجعل لهم الرحمن وداً ، أي ثباتاً في المحبة عند الله وفي قلوب عباده .

والطعام الذي قدمته جدتي هو ما أعطته الذات في مقام الوحي . وأختي نجلاء عين الموجودات ، إذ نجلاء صفة العين الواسعة ، وهذه العين هي الوحي وهو ما عبر عنه ظهور زوجها ناجي في الباب ، أي باب القلب الجامع ، حيث كان معه دراجة حمراء هي رمز الصفات . فللدراجة عجلتان أمامية هي صفات الكمال ، وخلفية وهي صفات الجلال ، وكلتاهما مركبة المناجي الخفي الموحي إلى عباده مايشاء ، فتوجب إطلاق النعوت لجامع النعوت في ذاته والسلام .

*

« رؤيـــا »

رأيت أبي إبراهيم يطوف حول الكعبة ، ثم توقف وجعلت الكعبة تطوف حول ، ثم جعل كلاهما يطوفان حول بعضهما بعضاً .

الوجود بين فاعل ومنفعل . فالفاعل ماهية هي في عينها غير موجودة ووجودها مرتبط بفعل لابد من حدوثه . فهذا الاستواء على العرش ضروري ، وإلا فالوجود يكون عدماً محضاً ، والوجود والعدم متناقضان لا يتفقان .

والانفعال محل تواجد الفعل فهو حضرة فعل ، ولذلك يقال ، لغة ، حضر فلان ، أي مشى من نقطة أ إلى نقطة ب ، فباحتلاله النقطة الجديدة يكون قد شغل حيزاً هو محل الانفعال . والفاعل ليس هو بل متحرّك بمحرك أول قائم بذاته . فالقضية متداخلة في الزمن الحاصل من تباين الانتقال . ويقال عن هذه الحال انفعال وجودي . وواضح أن السرعة الناشئة عن حدوث الانفعال ذبذبة بين حاضر وماض ومستقبل . ولما كانت الحركة دائرة دمج الثلاثة فكان الأول آخراً وهو الحق سبحانه .

وبالإضافة إلى الحركة يأتي الزمن ، وهو مدة استغراق الحركة في الفعل ، وما ثمة تفاضل بين زمنين إلا ضرورة باعتبار ان النقطتين أ و ب هما وجها تحرك واحد . فالمتحرك المحرك متحركان بذات واحد فهما والآخر محمول عليه .

هذا ما رمزت إليه الرؤيا بابراهيم طائفاً حول الكعبة ، ثم طافت الكعبة حوله ،ثم طاف إبراهيم والكعبة حول بعضهما بعضا . فإبراهيم مجلى اسمه الواحد ، والكعبة مجلى أسمائه الحسنى . وإبراهيم ما تحرك إلا واحداً ، ثم تحركت الكعبة جمعاً ، ثم تحرك الواحد والجمع فكان الواحد والجمع واحداً مع اعتبار النسب والإضافات . فإنك من دون الإضافة تلحد ، إذ في الاضافة رفع الشرك ، فالاضافة اتباع بمتبوع . والعبد يتبع خالقه وهماً في هذه الحالة باعتباره مرآته . أما في الحقيقة فالحق كان عبداً لما أظهر نفسه بأسمائه ، والعبد كان حقاً لما انتفى في ذاته وبقي بربه .

فالطواف طوافان ، طواف للعبد حول الحق ، وطواف للحق حول العبد ، ومن هذا المنطلق صلى الله على عبده محمد عليه السلام وسلم على آله وصحبه أجمعين .

فالصلاة حج مكثف الحركة مركزية جوهرية لا فرق فيها بين حاج فني في الله

والله الذي أظهر هويته في عبده . هذه هي المسألة فافهم واتعظ ، ولا تقل أنا بل قل هو واحد أحد فرد صمد حي قيوم ولا يقوم بأحد بل يقوم به كل أحد والسلام .

*

« رؤيـــا »

رأيت صديقي سعيد مسافراً إلى مدينة حمص ، ثم قصد متنزه الميماس ، فلما رأى البساتين وجمالها قال مسروراً : لا إله إلا الله . ثم ظهر رجل في نهر العاصي ، وقد بدا أنه يغرق ، فتلفت سعيد حوله مستنجداً فوجد رجلاً لم ينجد الغريق فتألم .

التأويـــل

الموضوع الماهية باعتبارها الوجود المطلق ، ومطلق الشيء منتهاه . فقولنا جعفر ذهب إطلاقاً أي لم يرجع . وحد الاطلاق الانطلاق وهذه هي اللانهاية ، واللانهاية بداية في نهاية . ولهذا قلنا ما تأويله إن عين الماهية غير موجودة إذ لا يمكن تحديدها . فسعيد الذي ذهب إلى حمص قد قصد حمص ، أما أن ينطلق إلى غير هدف فهذا انطلاق محض غير محدد وهو عدم مطلق .

والماهية تتكثف لما تصدر عن العين ، وتتبلور لما تعود إلى العين ، وبين الحدين يمكن الحديث عن الماهية . فلزم لذلك وضع معادلة بين الوجود المطلق والوجود المكثف ، فالأول فلسفي يقال نظرياً ، أما عملياً فلا يمكن تعريفه ولا الحديث عنه .

وسعيد ذهب إلى حمص وقصد متنزه الميماس ، فكان حاجاً قاصداً مهاجراً إلى متنزه وهو منفسح للروح التي وجدت عينها في نور أزلي أنتج الحياة . وسعيد قال لا إله إلا الله في المتنزه ، فوحد وسبح ونزه وشبه ورفع وأخفض . وعلى الحقيقة ما نطق سعيد إلا بما أوحي إليه . فالدعاء من العين وإلى العين .

وهذا شبيه بإعجاب الفنان بعمل فني أتمه ، فما ثم لذة تعدل لذة الخلق حتى وإن منحت كنوز الدنيا للفنان لقاء عمله . فاللذة واجبة بذاتها ممنوحة لذاتها ، ومن هنا ظهر الوجود حباً في الظهور . جاء في الحديث القدسي : كنت كنزاً مخفياً فأحببت أن أعرف فخلقت الخلق فبي عرفوني .

والعاصي عصا ولكنه ماء جرى ليروي . فالعصاة رووا ناساً إلى معرفة لما انتفى عند ظهور نور التوحيد نار التوحيد فصار الاثنين ، العاصي والطائع ، واحدا . والرجل الذي غرق غرق في نهر العاصي . . وفي هذا رمز إلى من ظل مشركاً أثبت لله وجهاً ونفى الوجه الآخر ، فهذا مركبه عاص ، أي عاص لقبول نور التوحيد . فما الغارق إلا من تعلق بوجه المعز ونسي وجهه المذل ، ورفع اسمه الرافع وغفل عن اسمه الخافض . ولا تقل عند التوحيد رفع وأخفض بل قل ارتفع وانخفض بمعنى خلق بيديه ، غايته هو هو دون غاية أخرى . فمن هذا الوجه فرح الرب برؤية وجهه العبد ، ومن هذا المنطلق ضاع العبد لما أشرق وجه ربه فطار وجهه هو .

فسعيد تألم لمن غرق كما تألم ممن لم ينقذ الغريق . فنزه ثم نزه ، وشبه ثم شبه ، ولا تفرق ولا تجمع ، ولا تبعد ولا تقترب ، ففي هذا المقام لا هو إلا هو والباقي أوهام .

*

« رؤيـــا »

رأيتني في سيارة ومعي زوجتي سميرة وابنتي جمانة ، وقد جلست بجانبي فتاة مدت يدها فلمست يدي فتحركت فوضعت يدي على ساقها فإذا هي مشعرة ، وكان ثم رجل غريب جالساً قدامي نظر إلى حيث يدي فشزرني بنظرة مستنكراً فسحبت يدي ثم وجدتني في عيادة طبيب اسمه خليل ، وما أن دخلت عليه حتى رأيت عنده خطيب جمانة السابق خالد ، ورغم أن الخطبة مفصومة إلا أن ابنتي اتجهت إليه وجلست قربه فاحمر وجهه . ثم شرع الطبيب يفحص زوجتي التي ظهرت في

قميص داخلي شفاف شف عن صدرها ففحص الطبيب صدرها ثم وسطها ثم ساقيها وكانتا مشعرتين . . ثم دخل أخي فؤاد وشرع يصلي على سجادة وأمامه قطع من الكاتو وقد لاح عليه أنه مجذوب . . ثم ظهرت نسوة تلصصن علينا فقال الطبيب أغلقوا الباب فلما أغلقناه ساد الغرفة ظلام شديد فأنار الطبيب الضوء .

التأويل

علم الاشارة علم عجيب ، ففيه رموز هي مفاتح الغيب سلمت أزلاً إلى عباد مخصوصين بالعناية الربانية لهداية الناس . والاشارة الرمز ، والرمز الاشارة ، وكلاهما لمعات من بوارق الغيب تضيء في سماء قلب العارف فتهديه سواء السبيل في رحلته الكبرى .

وقلنا السيارة سفر السالك بفكره الذي هو نوره إلى ربه . والفتاة النفس إذ هي مؤنثة ، وساقها المشعرة إشارة إلى انبثاق النفس من الجسم ، إذ الشعر رمز الطبيعة والجسد .

قال الشيخ الأكبر : (النفوس الانسانية نتيجة عن الأجسام العنصرية ومتولدة عنها فإنها ما ظهرت إلا بعد تسوية هذه الأجسام واعتدال أخلاطها) . . والكشف هنا كشف حيواني ، يثبت فيه للمكاشف أن الأجسام العنصرية جسم كلي واحد ، وهذا الكشف يكشف عن حرام أشار إليه وجود الرجل الغريب الذي نظر إلى مستنكرا . قال الشيخ كمال الدين المراغي ، سألت الشيخ العفيف التلمساني : ماالفرق عندكم بين الزوجة والأجنبية والأخت والكل واحد ؟ قال : لا فرق بين ذلك عندنا ، إنما هؤلاء المحجوبون اعتقدوه حراماً فقلنا هو حرام عليهم عندهم وأما عندنا فما ثم حرام . وقال الشيخ الأكبر : ماثم سبب موجب لاباحة ماحرم عليه ـ أي العارف ـ فعله إلا العلم . وقال أيضاً : سرح أعياننا وأباح لنا التصرف فيما كان حجره علينا . وقال الامام ذو النون : العارف من لايطفيء نور علمه نور ورعه . ولذلك أمسكت عن لمس ساق الفتاة في الرؤيا لما رأيت استنكار الرجل لفعلي . فالإمام التلمساني رضي الله عنه ماقال ماقال إلا من باب العلم وحاشاه أن يكون تعدى علمه إلى عمله .

والطبيب الحق سبحانه ، إذ كان إلى جانبه الشاب خالد وقد احمر وجهه ، وخالد خالد ، والوجه الذات والعين والماهية ، ولون حمرة الوجه إشارة إلى الروح الفعال ، واسم الطبيب خليل يعني أن الحق تخلل الانسان بلا وصل ولا فصل . وتوجه ابنتي جمانة إلى خالد رغم فصم الخطبة توجه روح العارف إلى ربه ، إذ هي منه وإليه . وجمانة در ، والدر ثمين ، والعارف در ؛ وهو مرآة ربه وتجليه ولسانه ، وهو وإن كان منفصلاً عنه انفصال ظهور فهو موصول به صلة نفث ووحي .

وفحص الطبيب لزوجتي بدأ تعليم الحق للعارف المصطفى من بين العباد ، والصدر مكان القلب ، والقلب الفكر ، وانتقال الفحص إلى وسط زوجتي إشارة إلى كون القلب وسطاً بين الحق (النور الفعال) والجسد المنفعل . وانتقال الفحص إلى ساقي زوجتي المشعرتين إشارة إلى أن الفكر وليد الدماغ الذي هو آلة من آلات الجسد ، إذ قلنا الشعر رمز الطبيعة العنصرية ، فثبت ههنا كشفاً أن لا تفكير بلا دماغ ، وهو مرتبط به ، نشط بنشاطه ، فان بفنائه .

وظهور أخي فؤاد عودة إلى تسمية الفكر قلباً ، إذ الفؤاد القلب ، والفؤاد الجانب من القلب المستشرف الروح الفعال ، ولذلك صلى فؤاد وأمامه قطع كاتو هي رمز العقل إذ لونها بني . . فالفكر قلب ، والقلب عقل ، أما إمارات الجذبة فدليل على أن التفكير متصل بالحق عن طريق الالهام والخواطر .

وظهور النسوة ظهور الواقفين خلف حجاب الصفات ، وتلصصهن محاولة معرفة أسرار الغيب ، وإغلاق الطبيب الباب إشارة إلى أن الله لا يطلع على غيبه أحداً إلا من ارتضى من رسول والرسالة نبوة ، والنبوة نبوتان نبوة تشريع ونبوة علم .

فدون الغيوب سدود مضروبة لذلك ساد الغرفة ظلام شديد ، ولا إزالة لهذه السدود إلا بإشراق نور الهداية في قلب العارف ولذلك أضاء الطبيب الغرفة ليبدد سجف الظلام .

*

« رؤيـــا »

رأيتني أنظف بيتاً ناشطاً متحمساً لذلك ، وكانت جارتنا أم ممدوح العجوز تغلي ماء لتشطف البيت كله . وبعد هذه العملية المضنية أقبلت زوجتي فقالت: ماتت قمر جارتنا . فصعقت وقلت : صحيح ؟ ثم مرت بي صبية سمراء فأوحي إلي أنها قمر .

التأويـــل

العقل ما عُقل من الشيء فنسب إليه ، وما ثـمّ إلا نسب في هذا المخلوق اللاحق بأهله من حيث الشيئية وبخالقه من حيث الأهمية . والعقل جوهر صاف لا يخالط المادة ، متحكم بها ، سيرّها كما يسير السائق سيارته ، لا هو منها فنقول هو هي ، ولا هو من دونها فنقول سائق وماساق إلا من ساق فافهم .

والعقل تفاعل فانفعل فافتعل . . أخذ عن ورد ، ثم رد على فرع ، فحمل الفرع فتحرك ، فكانت الحركة الظاهرية التي ترى . والعقل محل وجود مسبق ، والوجود تابع لأهله لأهميته ، وأصله هم قوى حافظة ، مدبرة ، كروية لا ترى ، شفافة لا تعلم ، فعالة بآثار فافهم .

أما ثنويته فلتضاده بين عالمي النور والظلمة . . تارة يقعد بين يدي الرحمن فيأخذ عنه ما يأخذه القمر عن الشمس ، وتارة يطلع على مسرح الحياة سلطاناً آمراً ناهياً كحال القمر ليلة البدر التام . . هو سيد في السماء ، أمير على الأرض ، تنظر إليه فتقول هو ، وهو واسط ، فإذا غاب قلت ماقال النبي عليه السلام : هذا هو الغاسق إذا وقب .

والعقل منة ، نفذ منها الحق فكان خلقاً ، تجلى منه عليه فظهر لنفسه بنفسه ، فما ثمّ موجود سواه . فالعقل طفله الأثير، وأداته الحقية ، ويمناه بها أعطى وأخذ ، وعاقب وأثاب ، ورفع وآخفض . . ولهذا قال عليه السلام : كل شيء منه سبحانه حتى العجز والكيس (أي الفطنة) .

والعقل نور من نور ، محله تواجد في ظلمة فسكن إليها فقامت به ، فناء بها ، ففر إلى ربه ، فغشي عوالم الرحمن ، فعُقِل بنور أعلى فارتفع فصفا فكان قلبا . فالحقيقة واحدة نفسية وعقلية وقلبية ، وإنما اختلفت المصطلحات حسب الدرجات فافهم .

فارتكس نكس ، ونكس خذل فهو نفس ، وارتفع علا فأشرف فهو شريف فهو قلب . . والعقل حيران بينهما . هو شقاء حتى يتم الله نعمته عليه ، وهو نعيم إذا تمت عليه نعمة ربه . والرؤيا أفصحت عن هذا . فتنظيف البيت كناية عن رفع النفس أو عقلها ، وسعي أم ممدوح سعي الرحمن لرفع العقل إلى مصاف القلب الصافي بماء الطهارة . فإذا تم هذا قالت سميرة الذات الناطقة إن (قمر) ماتت أي صار العقل قلباً ، أي أشرق القمر فصار بدراً تماما . فالغاسق إذا وقب شر ، ولكن إذا ضاء فهو خير . ولذلك كان قمر بعض الناس شراً فهم حطب جهنم ووقودها ، وكان قمر آخرين نعيماً أي جنة إذ أشرقت فيها أنوار الله .

فما ثم إلا محل تجلي أنوار ظلمانية إشراقية ، رافعة خافضة ، فسبحان من رفع وأخفض ، وإليه الأمر في ملكه ، حاكم فرد ، مطلق السلطان ، حر يفعل مايشاء بمن خلق والسلام .

*

« رؤيـــا »

رأيتني متزوجاً بامرأة ، نائماً معها ، اسمها نجوى ، وقد التصقت بظهرها ، وكان ثمّ أناس قد ظهروا تحت قنطرة بناء قديم جعلوا يشيرون إلي فاستحييت وسترت نفسي وزوجتي .

التأويـــل

أصل الشيء عدمه ، ووجوده وعدمه سيان ، لأن من وجد من لا شيء هو

لاشيء . أما الأصل الماهي فهو قائم بالعدمية بمعنى ظهوره فيها . والماهية ضرورية لتقويم العدم ليصبح شبحاً أو صورة . ورَدُّ الصورة العيانية إلى الأصل الماهي ضروري ، كأن تقول : هذه التفاحة من شجرة تفاح ، وشجرة التفاح من بذرة تفاح ، وبذرة تفاح فيها الصفة التفاحية بالقوة . وهكذا انتهت البذرة التي في التفاحة إلى البذرة التي أنتجت التفاحة فكان المنتِج نتاجاً ، فدخل الأول في الآخر ، فدار الزمان وساد العدم باعتبار عدمية الزمان . والأصل الوجودي قوامه فيه ، ظاهراً كان وباطناً لم يكن ، أو باطناً كان وظاهراً كان ، أو باطناً كان وظاهراً لم يكن . هذا باعتبار التفصيل والنظر في المقامات ، أما على الحقيقة فليس بين البذرة التي انتجت التفاحة والتفاحة التي انتجت البذرة من فارق وجودي حقيقي إلا في أعين الظواهريين الذين يبحثون عن العلل والمعلولات ويقولون : هل البيضة أنتجت الدجاجة أم الدجاجة أنتجت البيضة ؟ والرؤيا أخبرت عن الأمرين معا . فالبذرة التي أنتجت التفاحة هي النور الفعال الذي تجلى باسمي محمد ، والتفاحة وهي النفس المنفعلة تمثلت في الفتاة نجوى التي نمت معها ، والسرير بدن ضمّنا .

هذا على الحقيقة ، فالانسان فاعل منفعل ، ناكح منكوح ، آمر مأمور ، داخل خارج ، لا هو شيء ولا هو لاشيء ، لا هو موجود ولا هو معدوم ، لا هو عين ولا هو لا عين . الانسان ظهور فقط أصله عدم ، ومصيره عدم ، وحياته عدم ، والحي الوحيد الحقيقي هو خالق النور الفاعل الحق سبحانه . والعدم ظواهر وأشباح رُمز إليهم بمن نظروا إلي من تحت قوس حجري ترابي في بناء قديم ، فاستحييت واستترت ، فما استتر على الحقيقة إلا الحق وما ظهر إلا هو فانظر واعتبر .

*

« رؤيـــا »

رأيتني في طريق ومعي زوجتي ، ثم ظهر أخي يوسف فأشار إلى أخي فؤاد الذي كان يسبقني ، وكان متزوجاً من امرأة اسمها أميمة ، وكانت أميمة قد كشفت

عن ساقين مشعرتين فقال يوسف لي إن زوجة أخيك لا بأس بها وهما سيقومان بدورة وسيعودان ، أما زوجتك أنت فهي لا شكل لها .

التأويـــل

العين والعيان والتعين شيء واحد لا فصال بينهم . فإن قلت عين الشيء أشرت إلى الشيء دالاً على العين ، وإن أشرت إلى العيان أشرت بصورة لا مباشرة إلى عينه لأن لكل ظهور مثالا . والتعين جمع بين العين والعيان . والعملية كلها فعل واحد مثله سبحانه بخلق المسيح وأمه معا . فأمه خلقت من طين العناصر الأرضية وطهرت بهديه . . أما هو فنسيج وحده ، فهو نزول من فوق إلى تحت بمعنى قدرة الخلق فكان جسداً رغم تنزهه عن شوائب الجسد وكدوراته . والميزة هذه ضربت مثلاً بالمسيح ليظهر وجه العين ووجه التعين . فمن حيث الصورة فالمسيح عين ، ومن حيث العيان فأمه ظهوره لأنها حملته بنفخة من روح القدس ، والتعين تمام خلقه هو على هذه الصورة الفريدة . والمثال ضرب ليدل على عدم إمكان الفصل بين الحق والخلق . **فالمسيح صورة إلهية هي حد وسط بين الخلق والحق . . هو حق من جهة عينه وهو خلق من جهة تعينه ، وهو تنزه من حيث صفاء طبيعته ، وهو تجسد من حيث ظهور العين في الأثر . ولم يبلغ هذا المقام أحد من الأنبياء إلا المصطفى عليه السلام فإن في إسرائه عروجاً على مقام المسيح ، وفي عروجه تفوقاً على مقام العين والتعينات واقتراب من حد الذات الإلهية المنزهة عن العيون والتعينات .**

والرؤيا أشارت إلى هذه الأمور معا . فأخي فؤاد هو القلب تزوج بامرأة اسمها أمية ، وقلنا أمية تصغير أمة ، والأمة النفس الحيوانية التي تعلق بالجسد من جهة النفس . . ولكونه أخي فلقد صرت أنا وجهه الآخر أي وجه القلب المتوجه إلى النور الذاتي ورُمز إليه بزوجتي سميرة (التي لا شكل لها) ، أي المنزهة عن التعين وهي رمز إلى الذات الإلهية ، سميرة العقل المستفاد على حد تعريف الفارابي . وأنا وأخي وجها الماهية والعيان ، أو قل الصورة والمادة . والخلق على تكثره واحد ، والوجوه وإن تعددت هي على الحقيقة وجه الحق سبحانه .

*

« رؤيـــا »

رأيتني في أعلى جبل ، ثم انفجر الجبل فخرج منه شعاع نار اتقد فصار نوراً تناثر كذرور الثلج في الفضاء . وسمعت هاتفاً يقول : إني أنا الله ياعبدي . فأخذتني خشية مابعدها خشية ، ثم جعلت أتأمل ماأرى ، وأخيراً وبعد أن ملكت نفسي نظرت إلى ربي ثم جرى بيننا الحوار التالي :

- أين أنت؟
- في الكون
- ومن أين جئت ؟
- من الكون
- والكون من أين جاء ؟
- مني
- ألست ترى في هذا تناقضا ؟
- لا . خذ مثلاً بذر الخيار والخيار ، فهل تستطيع فصل بعضه عن بعض الآخر ؟
- ولكن هذا لا يجيب عن السؤال فأنا أريد البداية .
- البداية في النهاية .
- مازلت أصر على وضع نقطة أولى .
- وأنا أصر على أن النقطة الأولى هي النقطة الأخيرة .
- وما ماهيتك ؟
- من ماهيتك ؟
- وما ماهيتي ؟
- ماهيتي .
- وما ماهيتي وماهيتك ؟
- ياعبدي إفهم هذا المثل . . جوهرة في صندوق زجاجي محفوظ في متحف ، وافترض أن المتحف لا يمكن أن يستغني عن الجوهرة بحال ، فالمتحف الكون ، والصندوق الزجاجي أنت ، وأنا الجوهرة ، ولا مجال للتفريق بيننا .

ـ وما الجوهرة ؟
ـ الجوهرة شيء نفيس غال قائمة بنفسها أزلاً وأبدا .
ـ ومم صيغت ؟
ـ من شعاع
ـ وما الشعاع ؟
ـ نور
ـ وماالنور ؟
ـ النور كهرباء مضيئة من غير مصدر ، إذ صدورها منها كالماس .
ـ ومن أين انبثق هذا النور ؟
ـ خذ مثلاً طفلاً وأمه ، والطفل رضيع فلا حياة له دون أمه ، كذا النور هو من بعضه بعضا ، وأصله فيه ، بدايته منتهاه ، ولا مجال للغوص في الأعماق أكثر .
ـ وما تعمل يارب ؟
ـ أعيش إمكاناتي .
ـ وما إمكاناتك ؟
ـ الخلق
ـ ولماذا تخلق ؟
ـ لأعيش . خذ مثلاً أنت وقلمك فهل حياة لك إلا بقلمك ؟ اترك القلم تمت وإن لم تمت .
ـ وما غاية الخلق ؟
ـ التكوين .
ـ وما العبرة ؟
ـ الحياة
ـ ومن المستفيد ؟
ـ أنا وأنت من حيث أنك موضع سري
ـ ولماذا جعلتني موضع سرك ؟
ـ لتعرفني .
ـ وبعد أن عرفتك ؟

ـ فقدت نفسك

ـ وبعد أن فقدت نفسي ؟

ـ صرت أنا من غير حلول ولا اتحاد فإنما أنت موضع تجل .

ـ والنهاية ؟

ـ البداية .

ـ يارب حيرتني فيك ومازلت أطلبك .

ـ ومازلت تجهلني بقدر ما تطلبني .

ـ يارب زدني علما

ـ يامحمد ، خذ مثلاً قصب السكر ، ظاهره قشر وباطنه سكر وأنت القشر وأنا السكر ، وجودي فيك ، منفصل متصل على سبيل المجاز .

ـ وأنا يارب إلى أين أصير ؟

ـ إلى فضائي .

ـ وما فضاؤك ؟

ـ الكون الرحيب .

ـ وهل أحيا هناك ؟

ـ هناك توجد حراً من غير قيد ، تحدك الماهية فقط ، ولا يكون لك أي شعور ولا فكر ولا مركب ولا كل ما يخطر ببالك .

ـ فماذا أكون إذن ؟

ـ أرأيت إلى شلال يتساقط من الأعالي . . أسمعت موسيقى ناي يتجاوب بها الوادي ، أنظرت إلى بريق نجم يومض في الليالي . . يامحمد ، إنك تصير شعاع نجمة وهدير الشلال وصوت الناي المتجاوب به الوادي .

ـ ولكنك قلت لا أحس .

ـ بمعنى الإحساس .

ـ وما الإحساس ؟

ـ الإحساس واسطته آلة وعصب ، وأنت في رحابي لا آلة لك ولا عصب .

ـ وهل أحس بذاتي ؟

ـ بالطبع وإلا لا تكون .

ـ وكيف أحس بذاتي وأنا لا آلة لي ولا عصب ؟
ـ يامحمد أنظر إلى الطير في الأعالي ، إنه يعيش الغبطة بلا وعي ، ومن هذا المنطلق بالذات ستعيش الغبطة بلا آلة ولا عصب .
ـ لقد خرجنا على كلمة الإحساس .
ـ سم ما تشاء فالأسماء لها مسميات ، وفي رحابي ثمّ عوالم ليس لها أسماء ، هي وجود مطلق فحسب .

*

« رؤيـــا »

رأيتني مع إبني إبراهيم ، وهو ممسك ببطاريات مذياع ، وقال لي سآخذ البطاريات إلى عمتي نجوى لأن البطاريات في مذياعها فارغة ، فقلت له إن أخي رأفة اشترى لمذياع عمته بطاريات وسأخبىء البطاريات التي لديه في الخزانة لوقت الحاجة .

التأويـــل

قوام الشيء أصله ، فالجبل قوام السهل ، والسهل قوام الوادي ، والوادي قوام النهر ، الذي يجري في قعره . وكل موجود له قوام يقوم به . هذا التسلسل متسلسل إلى مالانهاية ، واللانهائي هو الله ، قوام كل قوام وأصل الموجودات الحسية والمعقولات كلها . والمعرفة تبدأ من أدنى إلى أعلى لتصل إلى حد لتصور الوجود المطلق وهو الله . وهذا التصور عقلاني مطبوع في هيولى مادية منها العقل المادي ، والعقل المادي مشحون بعقل غير هيولاني ، قوي ، قوته مشعة كالشمس . هذا العقل المطلق هو الوجود المطلق ، تقوّم به الوجود الحسي فقام على عظامه . . أما المخلوق فمخلوق عدماً وظهوراً . فمن جهة عدمه لأنه كان ومازال لاشيء ، حركته

لا من جهته ، وفكره لا من نفسه ، ونفسه لا من مادته ، ومادته لا من جوهره . . هو مجمع عجيب لعناصر وأضداد ، وهو حيوي بفعل سيال حيوي ، وهو مفكر بفعل قوة فكرية منبثة فيه . وباختصار إنَّفِ الانسان وثبت السبحان ونزه وقل هذا من ذاك والسلام .

هذا ما رمزت إليه الرؤيا بإبني إبراهيم أراد أن يأخذ بطاريات إلى عمته نجوى . وإبراهيم نور إبراهيمي محمدي فعال ، ونجوى رمز النفس . فالقوة (البطارية) منقولة من النور إلى النفس ، أو من العقل الفعال إلى النفس المنفعلة . وقولي إن أختي رأفة سبق وأخذ لأخته ـ عمة إبني ـ بطاريات فههنا نفي للنور الأولي أيضاً . فرأفة مجلى الحق حتى دون تجلي اسمي . فمن الرأفة أو الرحمة كان الوجود . والرمز هنا يخص الصلة بين القطب والحق دون واسطة ما حتى ولا العقل الفعال أي جبريل . وهذا صح في القرآن ووقع للنبي في سورة النجم . فالقوة هنا رأسية دون واسطة ، ولذلك قلت لولدي خبيء بطارياتك في خزانة حتى ينتهي مفعول بطارياتنا فنستبدلها بها . وهنا تؤول الرؤيا على وجهين ، وجه انفعالي حيوي قادمة من حق إلى عقل أول إلى عقل منفعل وهو المجال الحيوي ، ووجه تعليمي خاص بالمصطفى من الناس وهو منقول عن الحق إلى المصطفى دون واسطة العقل الفعال .

والقضية شملت هنا وجوداً فكرياً ووجوداً مادياً . فعلى الصعيد الأول تسلسل إلى النبع الأول وسباق الأمم النبي أو الإمام . . والوجود المادي يظل متسلسلاً بلا سباق حسب ما أدرجناه سابقاً من تعينات متتابعة كدرجات السلم .

*

« رؤيـــا »

رأيتني في مخبز صاحبه شيخ جليل الطلعة ، مهيب ، وضيء الوجه ، استقبلني بمودة ، وعلم حاجتي دون أن يسألني . . فقام معي ودخل على الخباز وأوصاه بإعداد صفائح عجين من نوع خاص وأن يحشوها بكذا وكذا من المواد

والمقبلات ، ثم جعل الشيخ يفحص الخبز الطازج الخارج من الفرن وأبدى بعض الملاحظات الهامة . ثم خرجنا إلى جمع من الناس التفوا بالشيخ الذي قال لي متابعاً : من زمان وأنا معتاد إتقان عملي ، وأنا حاج من ثلاثين سنة . ثم ظهرت امرأة عجوز متصابية متبرجة بزينة مرت بنا قائلة : أنا صائمة ولكن لا عن قناعة ولكن لأن الناس صائمون .

التأويـــل

العلة الأولى قديمة غير محدثة ، قائمة غير مقيمة ، ولا تتحيز ولا تتكيف ، ولا توصف ، ولا تنفعل ، ولا تنقسم ، ولا تحُد ، ولا تظهر ، ولا تكشف ؛ وهي مفارقة ، ملازمة ، قادمة ، ذاهبة ، مسكنها الكيف بلا كيف .

هذه العلة هي الله المتمثل في الرؤيا بشيخ جليل الطلعة ، مهيب الطلعة ، وضيء الوجه ، يعلم الخباز كيفية خبز العجين ، وقدومي أنا عليه قدوم وارد على مورود ، قدوم عالم على فيض العلم ، قدوم متوارد انفعالي على مصدر فعال .

والخباز محل الانفعال ، وهو النفس الكلية خادمة الحق وأمته وآلته ومنكوحه ومحط أنواره . وتوصيته له بإعداد كذا من صفائح العجين لي هو توصية صاحبة الأسماء لمخرج الأسماء من حيز القدرة إلى حيز الوجود والفعل . وهذا الانتقال أسمائي ، غير معينّ ، وهو صائر إلى التعين بحسب وارد زمني معين يسمى القدر . وتوجيهات الشيخ صاحب المخبز للخباز توجيهات مصدر هو أصل علماني لتجلي العلم في العالم .

وقول الشيخ إنه اعتاد إتقان عمله ، وهو حاج ، وشعوري بأنني أعرفه من زمان ، فهذا مجال حيوي أصله الحدس وهو شعور الروح الانساني بحضور الروح الرحماني داخل المجمع الجسماني ؛ وهو تلاق نوراني يلهم الانسان الأعمال الخيرة والصلاح ويغدق عليه الحب والرحمة والحنان . وقبل هذا فالصلة نورانية إيمانية ولذا كان الايمان نوراً يلقى في قلب العبد وليس عقلاً الطريق إليه الحجة والبرهان .

أما المرأة العجوز المتصابية فهي الدنيا ، قديمة لصلتها بالمطلق ، متبرجة لفرط ما يتعاور أديمها من تغيرات العناصر . . وتبرجها إشارة إلى ظهورها بألوان العناصر . وتصريحها بأنها تصوم دون قناعة ولكن لأن الناس صائمون فهو إشارة إلى النفاق الذي اتسم به أهل الدنيا ، يتعلقون بزخرفها ويوهمون الناس أنهم منصرفون عنها ، وما لذة العيش عندهم إلا بالتقلب في أحضان هذه الغانية المتصابية صاحبة الأهواء واللذات . والرؤيا كلها تعبير عن استدلال على صلاحية القلب لتوارد خواطر يمينية شمالية . فأما اليمين فالله ، وأما الشمال فالدنيا . والقلب مثل الفرن الذي توقد فيه نار العناصر لتكون مخبزاً لعجين طحين الجزئيات الذي ظهر في الدنيا متماسكاً ثم صار معقولات كلية .

*

« رؤيـــا »

رأيتني في ساحة السبع بحرات قرب محل لبيع كسوة البيت من أنابيب وصنابير وبلاط ومجال وماشابه . . ثم رأيت سيارة صغيرة فيها عدد من الشرطة معهم ضابط برتبة رائد ، ورأيت سيارة تخرج من الطريق وتدخل مرآب بناء مقابل . . ثم سمعت صوت فتاة يصدر من ناحية الماء المتدفق من البحرة . ثم مشيت ، والشمس لم تغرب بعد ، قائلاً لنفسي إن بوسعي التنزه حتى تغيب الشمس . ثم أقبلت على سور من قضبان متشابكة دقيقة ولجت منه فوجدت رؤوس حيوانات تشبه الهررة وكانت مقطوعة ولكنها كانت تتنفس . ثم تبعني كلب ، فحاولت أن أهرب منه فما قدرت ، إذ كان قد ميز رائحتي فعلقني ، فألقيت إليه بحب (قضامة) أصفر منقط بنقط سود عليّ أشغله بها عني فما انشغل . ثم رأيت عجوزاً يمتطي حماراً فركبت خلفه محاولاً الاختفاء ، ولكن الكلب ما لبث أن وجد ريحي فتبع الحمار فما كان لي منه مهرب .

كنا قد تحدثنا عن الخلق والإحداث ، وبيّنا أن المفاضلة بينهما أمر متعذر . فوضع حد لعملية الخلق يقضي وضع فارق بين وجهي الهوية الأحدية وهذا غير ممكن عمليا . صحيح أن هناك خلقاً ولكن بمعنى الانوجاد لا من لاشيء بل من شيء ، ولهذا وجدتني قرب ساحة السبع بحرات ، وهي إشارة إلى الماء الذاتي الـذي هو أصل المخلوقات .

ومحل بيع كسوة البيت إشارة إلى أعضاء البدن الجزئي ، فههنا ثمّ وصل ولا وصل ، بمعنى أن الأعضاء ظهرت من ذات فكانت انبثاقاً لا خلقاً من عدم . أما الشرطة الذين ركبوا سيارة فهم المسؤولون عن الصلة بين الذات والأعضاء إذ هم قوى ، ووجود الرائد فيهم كناية عن الروح الكلي الفاعل .

ودخول السيارة في مرآب بناء دخـول الـروح وقـواه في الجسـد الـذي كان مضغة ، فعبر عن ذلك بدخول ولا دخول . إذ الكلمات تقتضي هنـا إحداثـاً ولا إحداث . والحق أن اللغة تقصر عن الوصف الحقيقي لكل أوجه العلاقة بين الحق والخلق . فإن قلنا هو خلق نكون قد فصلنا بين خالق ومخلوق وما ثمّ إلا خالق فأين المخلوق والكون كله مجلى له .

وسماعي صوت الفتاة من ناحية البحرة إشارة إلى انبثاق الوعي المسمى الذات الناطقة من بحر الذات أيضاً . فالعلاقة هنا وهمية ، إذ في الحقيقة الماء الذاتي هو الناطق ، وإلا فمن علم الانسان مالم يعلم ؟

وإقبالي على السور والشمس لم تغرب بعد هو إقبال يونس على قومه يدعوهم للإيمان فلم يفعلوا فغضب فذهب فابتلعه الحوت . وتأويل القصة أن يونس الروح ظن أن الروح مفارق فدعا الناس في عين الجمع للإيمان بالعين نفسها وما علمها أنها كذلك فاختلف الأمر لدى باعث هو مبعوث فغضب فذهب مفارقاً عين الجمع إلى الكثرة الظاهرة فغاص في بحرانها المتكثر عياناً فضاع في باطن الحوت وهو الجسم ـ الهيولى ـ حتى أنقذه الله فأخرجه من الكثرة إلى الوحدة فشهد أن لا إلـه إلا الله .

فالشمس إن غربت صار الواحد متكثراً في جسم البدن ، ولهذا لم يحدث لي ماحدث ليونس عليه السلام .

والسور الوصول إلى مقام الصفات ، ولقد اجتزته بسهولة . أما رؤوس الحيوانات المقطوعة ومع ذلك فهي تتنفس فهي إشارة إلى الجسم الميت بذاته القائم بالله . فجسم الحيوانات لم يكن موجوداً ومعناه غياب الجسم أي عدم إمكانية قيامه بذاته . أما الكلب فما بطن الجسد ، وجعل يتعقبني باعتباري ممثلاً للروح . والحب الأصفر المنقط بالسواد الذي ألقيته إليه رمز الجوارح وهي مفارقة ملاصقة من كبد وطحال ومعدة وأمعاء ألحقت بالمضغةخلقا . وإلا فمن أين نبتت هذه الآلات للبدن وهو كان مضغة لا غير ؟

فصفرة الحب علاقة النفس بالبدن ، والنقط السود علاقة الأعضاء بالنفس ، فما ثمّ ثالث بين هذين الحدين المتداخلين.أما ركوبي الحمار فوصول إلى مقام العجز ، إذ حملني الحمار فصرت راكباً وكنت ماشياً بينما أنا أنا . وهذا ما أدركه العارفون فأعلنوا : لا حول ولا قوة إلا بالله . ولحاق الكلب بي لحاق تابع بمتبوع . فالجسد ظاهراً ، والنفس برزخاً ، والروح باطناً ، وحدة واحدة إن كانت جزئية فهي أنا شخصية ، وإن كانت كلية فهي إنسان جامع والله أعلم .

*

« رؤيـــا »

رأيت صحفيين أجنبيين يسألانني عن دائرة الإعلام ، ثم صعدا في مصعد ، فأردت اللحاق بهما ، فركبت مصعداً آخر وجدت فيه عمي واسمه سهيل ، وكان هزيلاً يرتدي بذلة زرقاء فضفاضة عليه . ثم وصلت إلى طابق وجدت فيه رجلاً يصنع قهوة وشاياً فسألته عن دائرة الصحافة فقال في الطابق الذي تحتنا .

إذا لم تكن لم تكن ، فالكينونة شيء وجودي ذو علاقة بإطار كينوني عام . فقولنا كن مع الله يعني كيانك بالله وإلا فما ثمّ علاقة بين كن ويكون . وهذا الكيان هو ما عبر عنه وجوداً بالتكون . فمن فعل يصير إلى مصدر صيرورة هنـاك فعـل صار . فالماضي تم من خلال حاضر مستقبل ، ولذلك فإصرارنا على محو الزمن ذو علاقة بتجل دائم للحق في الخلق ، وتوجب تبعاً لذلك نفي الزمانية والمكانية لأن المطلق منزه عن التشخص ، والتشخص غريب عن الأبدية . فالرابطة رابطة هوية محضة لا يمكن تجاوزها ولا إطلاقها . فعند التحدث عن الهوية هناك هو وهناك ثمّ ولذلك فإن الأهم هو التكون الصيروري لهذا الفعل .

والأجنبيان الصحفيان اللذان سألا عن دائرة الصحافة هما وقوف العقل أمام ظاهرتي الخير والشر وبينهما تفرق الناس . والتنزيه اقتضى وجود إشكال ، فمن أين جاء الشر وما سببه ؟ والسبب هو التكون من الموجب والسالب أو من الصفة والموصوف . والتكون اقتضى تنزيهاً للحق وتوحيداً للخلق فههنا وجه المسألة فافهم . وصعودي في المصعد ولقائي بعمي سهيل هزيلاً يرتدي بذلة زرقاء فمن الصعود كان التوحيد ، والتوحيد بدد شمل سماء الروح باعتباره جزءاً متشخصاً وهو ما عبر عنه بالسماء الدنيا ولهذا كان سهيل النجم الذي لبس رداء بلون السماء هزيلا . والموصوف لهذا فني في المتصف بصفات العيان وهو الروح الأول سهيل النجم . ولكن سهيل النجم هزل لما ارتفع ، فجبريل صرح ههنا : لو دنوت أنملة لاحترقت ؟ فههنا الهوية المحضة حيث لا تشخص .

والتكون تكون بدءا من النجم فأسفل ، فلذلك قيل هو مافوق الفوق وتحت التحت ، بمعنى أنه محيط حاو للجهات ، وفي هذا المقام هتف الحلاج : اللهم إنك المتجلي في كل جهة المتخلي عن كل جهة .

ووصولي إلى الطابق الذي رأيت فيه رجلاً يعد الشاي والقهوة فالشاي أحمر وهو الروح والقهوة بنية وهي العقل أو القلب . . وقوله إن الصحفيين في الطابق الأسفل إشارة إلى أهل الصفات المتشخصين من عيان ذي هوية وهو الحق المحض .

والرؤيا عموماً تنزيه ، وإلحاق التابع بالمتبوع ، ونفي التابع والمتبوع معاً ، وإبقاء أحدية تجلت وتجلت وتجلت ، وعبر عنها بفعل كن فيكون ، فكان الأمر صادراً منه وإليه والله أعلم .

*

« رؤيـــا »

وجدتني في قاعة غاصة بالناس يخطب فيهم زميل لي بعثي اسمه عبد الغفور ، وكان في القاعة هرج ومرج . . ثم خرجت وولجت قاعة أخرى كانت عبارة عن طابق علوي من مسرح ، وكنت أجلس في الصف الأول مع شيوخ وضاحي المحيا **قد أشرق نور الرضا في وجوههم . وعلى المسرح ظهرت سائحة جعلت تتفحص قبراً** إسلامياً وتقرأ شاهدته . . ثم تقدمت من شيخ مسن وضيء الوجه وسألته : من أين أنت ؟ فقال : من شنقيط . فأضافت : وماذا تفعل هنا ؟ قال : أنا مع جمع من إخواني مع الرفيق الأعلى .

التأويـــل

القاعة الجمع ، وهو مقام بعد الفرق ، وخص به ذوو مقام الإحسان وهم المحسنون . والزميل البعثي الذي خطبهم إشارة إلى البعث الأخروي وفيه تعم المغفرة الناس جميعاً ولذلك كان اسم الخطيب عبد الغفور .

والقاعة الأخرى مقام جمع الجمع وهو لأصحاب الملأ الأعلى ، لذلك كان المكان طابقاً علوياً من دار مسرح . وجلوسي في الصف الأول كون روحي من الطبقة الأولى بين الأرواح ، تلك الطبقة المباركة وأصحابها وجهاء ، هم وجوه القوم ، أسياد في السماء والأرض ، أجلاء ما أشركوا بالله طرفة عين ، أرواحهم من طينة إلههم ، نور من نور ، قد أشرقت عليهم أنوار الآيات فهدتهم وهم في الأزل .

أنوارهم شعشعانية متفرقة في أجواء السموات العلى ، لا تحدهم الحدود ولاتحصرهم الشخوص ، إن ظهروا في جسومهم فإن أمداءهم الحقيقية أمداء الكون الرحيب على وسعه . . هؤلاء السادة الذين اصطفى الله ، إن قدموا الدنيا قدموها على غصة ، وعاشوا فيه غرباء أتقياء موحدين زاهدين نظيفين علماء بالله ، وإن فارقوها فارقوها فرحين بالعودة إلى جواء الصفاء والطهر والنور . هؤلاء الأطفال في البراءة ، الأبكار في الطهارة ، الأعفاء في ترفعهم عن سفساف الأخلاق والأمور الردية ، لا يهمهم في الله لومة لائم . عبدوا الله سراً وجهراً ، وانطلقوا يبشرون بمجده في كل مكان . لسانهم دعاء ، وحضورهم عبادة ، وأنظارهم صلاة،إن نظرت إليهم قلت سبحان من صور وكذلك وصف الله حسن يوسف في الكتاب . ياأهل الصفوة ، جمع أنتم ماعلم حقيقة عددكم إلا خالقكم ، منه وإليه ، أحباء من حبيب أعظم ، فما أحسن ماخلق وصور . أيها الأفاضل ، الأكابر ، الحمد لله الذي جمعني بكم وأنا في الدار الدنيا وكشف لي أني منكم على ضعفي وقلة حيلتي .

وانتبهت من نومي وأنا أردد اسم البلد الذي ذكره الشيخ للسائحة دون أن أعلم أين هو . ومرت الأيام وإذا بولدي يقرأ مرة على خارطة أمسك بها اسم شنقيط فانتبهت وارتفعت وقلت : ماذا تقول يابني ؟ قال : اسم منطقة يقال لها شنقيط . قلت : أرينيها . ففعل وجعلت أقرأ الكلمة مرة بعد مرة ، وكانت المنطقة تقع غربي القارة الإفريقية وشماليها في بقعة اسمها اليوم موريتانيا مع قسم من الصحراء . واستبد بي الفضول فقمت أنقب في الكتب القديمة حتى عثرت على شنقيط ويالعجب ما قرأت . فلقد جاء في الكتاب أن شنقيط كانت منطقة المتصوفة وفدوا إليها من الأندلس والمغرب وتونس ومصر والجنوب ، وكانت المنطقة مشهورة بالعلوم الصوفية وحلقاتهم وأعلامهم .

وبعد أن قرأت هذا خررت على ركبتي راكاً شاكراً لربي أنعمه التي أنعم علي . فسبحان من وهبني هذا المقام الأعظم ، وأدرجني في الخالدين لا أموت روحاً ولا أحيا ، قد تخللني في السر فأنطق بالحكمة لساني ، ونور بالمعرفة قلبي ، وجعل بعثي فرحاً وقيامتي عرساً وكتابتي دررا . سبحانه إنه الخلاق الوهاب الممن على عبده ، إنه على كل شيء قدير .

*

« رؤيـــا »

رأيتني في طريق ، ثم دخلت بيت الموسيقـار شوبـيرت فاعترضني خادم ، فقلت لها أن تخبر سيدها باسمي ففعلت ، ثم دخلت غرفة الموسيقار فوجدته راقداً في سرير ، ثم انتبه من نومـه ونهض وأمسـك بنوتـة موسيقية صححهـا ثم قال لي : إخلاصي للفن لا يدع لي ساعة أرتاح فيها .

التأويـــل

ماالشيء ؟ هو مادة من جهة ووجود من جهة . فهل الوجود يقتضي وجود مادة بالضرورة ؟ الجواب نعم ولا . فهو يقتضي وجود مادة ، لأن المادة مادته ، ومن غير مادته كيف يكون من لا يكون إلا بشيء ؟

وهنا أصاب أرسطو حين ربط الله بالكون من حيث هو مادة . أمـا وجـود الوجود من غير مادة فهنا مقام الحديث عن الشطر الماهي من القضية ، وهنا أدغم أرسطو الماهية في المادة فما أمكن الفصل بينهما . والماهية تشترط وجود المادة ولكنها لا تقوم بها بمعنى أن وجودها غير قائم أساساً بها ، فلزم لذلك تصور عقلاني للفصل بين عين الماهية وعين المادة . فالترابـط دقيق وخفـي . والحـق أنـه لا يمـكن فهمـه إلا لأصحاب الذوق فهم وحدهم يعلمون ذوقاً أين حد الماهية وأين حد المادة وأين وجه الترابط بينهما وأين وجه المفارقة . وكل محاولة لنقل هذا التصور إلى غير أهل المعرفة بالله فاشلة مسبقا . فمن غير الكشف لا يمكن تصوير الفرق على الحقيقة .

وأنا حين دخلت بيت الموسيقار شوبيرت دخلت بيت الله باعتبار شوبيرت مجلى اسم الخالق . والخادم التي أوصلتني إلى غرفته هي (الطريقة) فهي خادمة للطالب السالك . ورؤيتي شوبيرت في سريره هو قولنا بوجود ماهية مرتبطة بالمادة منفصلة عنها والمعبر عنها بالسرير ؛ وانتباه شوبيرت وتصحيحه نوتة موسيقية له رمز لتقويم

العلاقة الحقيقية بين الماهية والمادية . فشوبيرت في فراشه ولكنه ليس فراشه ، وهو نائم ولكنه استيقظ ليمارس طاقاته الخلاقة ، فههنا إخراج مافي الماهية من قوة إلى فعل . فالعلاقة الروحية المادية شرط لتحقق الفعل الالهي فالمادة يد الله وهي صورته ومثاله .

*

« رؤيا »

وجدتني في غرفة ومعي صديقي زكريا ، ثم ظهر صديقي سليم فقام زكريا وجلس بجانبه وجعل يحدثه خافضاً صوته ، وقال له سليم مازحاً : لو علمتُ أنك هنا ما جئت .

التأويل

العلم علمان ، علم بالله وعلم بالأشياء . والعلم بالله يسمى حكمة ، والعلم بالأشياء يسمى علماً نظرياً أو عمليا . والعلم مصدره اسمه العليم ، بمعنى فيض العلم على العالم من ينبوع الحق سبحانه . والصلة بين العلم والمعلوم صلة اتباع ، والجسر بينهما صلة وحي .

والذات العالمة ذاتان ، ذات عالمة وذات معلومة باعتبار الذات أصل الوجود الكوني كله . فتجلي الهُو لأناه تجلي علمي ولذلك فقوله سبحانه (علم الانسان مالم يعلم) ينتفي بنفي الانسان مظهراً ورده إلى حقيقته . فالله علم نفسه أو عَلَّمها لما أظهر مافي نفسه إلى نفسه . فإن قلت كيف قلنا : الفنان قادر على الخلق ، وهو عليم بقدرته ، ولكن هذا لا يمنعه بل يضطره بالقوة إلى ممارسة طاقته الخلاقة ليرى فعله .

من هنا كان المتجلي مجلى لنفسه ، ففني الخلق في الحق ، وما بقي إلا المتجلي ، فسمي هذا المقام الفناء . ومن هنا لما ظهر صديقي سليم ، وهو إشارة إلى صفاء

القلب من أكداره ، انتقل زكريا العقل إلى جواره وجعل يتحدث إليه همساً . فزكريا العقل خفت صوته بظهور نور الهُو في القلب السليم . وقول سليم لزكريا مازحاً لو علمت أنك هنا ما جئتُ هو من قبيل قول الفنان للوحة رسمها : لوعلمت أنك ستكونين لما كونتك فالعقل عالماً ومتعلماً انتفى بظهور نور المتجلي . فالأصل نور ، والعقل تلقي نوراني ، ومرده إلى بحر ذاتي نوراني . فما ثمة إلا هو عقلاً ونوراً وصورة .

*

« رؤيا »

رأيت قناة السويس قد أفرغت من مياهها ، وقد جعلت فرق من العمال تعمل في تدعيم القناة بالاسمنت المسلح والقواعد المتينة . ثم مشيت في سرير القناة فلقيت خبيراً روسياً جعل يرطن بلغة غريبة ، لكنني فهمت من إشاراته أنه يتحدث عن كيفية تقوية القناة وعن فن هذه التقوية . ثم ظهرت آلة عظيمة أشبه بالحصادة كانت بعرض القناة اتجهت نحوي ففر كل من كان حولي ، وانبطحت أنا أرضاً ، ولما مرت فوقي قلت لنفسي لو بحت بكلمة وأنا تحتها لهلكت . . ثم وجدت بوابة أسرعت إليها فإذا أمامها ولد يحرسها فاجتزتها فوجدتني طالباً في الكلية الجوية ، متقدماً ، على ذراعي نجمتان . ورأيت مدرباً في الكلية برتبة ملازم فقلت لنفسي أن لا فارق في الحقيقة بين رتبتي ورتبته .

التأويل

يقتضي وجود الشيء اسمه ، فاسمه تحديد له وهويته ، ولا فارق بين الاسم والماهية ، إذ الفعل اسم ظاهر ، وعلى الحقيقة فإن الأسماء إن فارقت أفعالها ضاعت ولذلك لزم تعلق الخالق بالمخلوق باعتبار الاسم مصدر تعلق الفعل به .

وعلى هذا الأساس ، ومن منطلقه ، ومن حده ، جعلنا الاسم خالقا ، فالأسماء مسميّات أنواع متنوعة وجوباً ليتكثر الواحد . والأسماء تتمذهب حتى تظهر مافي الخالق من إمكانات . والطرق متشعبة وشائكة ، ولكن الغواص على الدرر واجد بإذن ربه درة واحدة كفيلة بحل مسائل الفلسفة المعلقة كلها . والهويات تعلقت فعلقت فحبلت فوضعت آدم ومن معه من ذرية ودواب تحمله ومخلوقات تساعده على العيش . فالمضمون ما ضُمِّن وتضمن ولذلك سمي مضمونا . ومن هنا توجب الاتيان بأدلة على الخفاء لتستبين طرق الظهور .

هذا التبيان دلت عليه الرؤيا بفراغ قناة السويس من الماء فجأة ، فههنا ظهور ، ومد الجسور وإقامة الجدران الاسمنتية رمز لقوة بنيان البناء الذي ضم ماء الخلق ـ الهيولى . وظهور الخبير الروسي ظهور نور التجلي ، خبير بالفطرة باعتباره أجنبياً عن البلاد ، أي عن إمكانات المعقولات والمحسوسات . وتحدثه بلغته التي فهمتها إشارة إلى إمكانات ما ضُمر في الروح الكلي الذي علم الانسان ماضمر في روح الحق سبحانه . . فهو وسيط لذلك هو مهندس القناة . وظهور الآلة العظيمة التي سدت مجرى القناة هو ظهور الذات ذات الجهات التي ماخرج عليها شيء ، فهي جامعة مانعة ، ظاهرة باطنة .

والبوابة بوابة الغيب ، وهي بواطن الأسماء ، والولد الحاجب ولادة والملازم المدرب في كلية الطيران هو صاحب الأسماء الحسنى التي يستعملها في تركيب الصور للدلالة على المقصود من لغة الغيب وأسراره . وقولي إني وإن كنت طالباً لي نجمتان على ذراعي لا على كتفي فأنا في الحقيقة مثله . . فهذا حال العاشق الذي صار معشوقاً ، فوجد العلة معلولة بمعنى ظهور أثرها فيها . وهكذا كان الضامر والمُضمر قناة ماء أوصلت ماء البحر الأبيض النوراني إلى البحر الأحمر الصفاتي النفساني فشبكت وفصلت مع أن ماء المحيطات واحد ، ومتى انفصل وكيف ؟

فيا من رأى الوجود وتحير فسأل عن الخفي اللطيف عليك بالبواطن وعليك بالظواهر فادمج واستنتج وقل : وجوه لوجه ، ووجه من وجوه ، ومامن وجه سوى وجهه . قال سبحانه : (كل من عليها فان ويبقى وجه ربك ذو الجلال والإكرام) . وقال : (كل شيء هالك إلا وجهه) .

*

« رؤيـــا »

وجدتني مع عدد من الرفاق نتحدث عن موضوع اجتياز القوات المصرية لقناة السويس في حرب رمضان ، وأجمعنا على أن العمل الذي خطط له الرئيس أنور السادات عظيم . وقال أحدنا إن هذا النجاح هو الذي دفع الدول الغربية إلى الإسراع بالاتفاق مع السادات ومده بالمساعدات .

التأويـــل

الطبيعة طبيعتان ، طبيعة ظاهرة وطبيعة مفارقة . والطبيعة طبع بذاته وهو المفارق ، أما الطبيعة بغيرها فهي محدثة لا عن عدم ولكن من حدوث بمعنى تجل عن إمكان . والطبيعة تقتضي تنوعاً في الماهيات وفي الظاهرات . ففي الماهيات تنوع الاسم ، وهو ما عبرنا عنه بالهوية أو الجنس ، والجنس تندرج فيه الأنواع ، والأنواع تندرج فيه الظاهرات . وهكذا نرى الماهية تتدرج من لا وجود عياني إلى وجود عياني . وهذا التسلسل ضروري ولا يمكن تفسير وجود ظواهري من دونه .

والطبيعة المفارقة جوهر ، أو قل جواهر بسيطة غير مركبة ، غامضة غير بائنة ، هي في رحم الطبيعة المنسوبة إلى الطبع الهيولاني . وهذه الطبيعة المفارقة أصل لفروع قائمة بذاتها كإشعاع عن قوة الحق سبحانه . وهكذا نرى إمكان دمج الطبيعة ظاهراً ومفارقة ، ونقول مجازاً توحدتا فكانتا وجودا .

هذا التعريف للطبيعة هو ما عبرت عنه الرؤيا باجتياز الرئيس أنور السادات للقناة في حرب رمضان . فالقناة ماء ، والماء أصل الوجود . فالضفة الغربية الطبيعة الظاهرة ، والضفة الشرقية الطبيعة المفارقة ، وأنور هو أصل النور ، إذ هو من وزن أفعل ، فلزم من ثمّ اتحاد دون اتحاد . وقولنا إن العملية كانت عظيمة لعظم تبيان الفروق الدقيقة بين جوهر الطبيعتين . فكم من قائل بطبيعة ظاهرة وطبيعة باطنة ، وكم من قائل بطبيعة ظاهرة باطنة ، وكم من قائل بطبيعة مفارقة . والحق أن الطبيعة

واحدة ، وهي الحق سبحانه ، تجل ومجلى . فليس من موجود سواه ، ولهذا خضعت الدول الغربية ، أي الجسم الكلي المادي كله ، لطبيعة النور المفارق الملاصق دون التحام .

فلا تقل هو ، وترفعه فوق سماء سابعة ، فما أبعد الله عن مخلوقاته عند ذاك ، ولا تقل هو وتدمجه بالمخلوقات فهذا عين الشرك ، إذ جعلت للحق ثنوية . . بل قل هو ظاهر وباطن ، مفارق وملاصق ، تكثر وتوحد ، فالكل ماعداه هو ، وجوباً وإمكانا . فالوجوب وجوده والإمكان ظهورهم والله أعلم .

*

« رؤيـــا »

رأيتني على طريق ومعي صديق لي اسمه حسين رشيد كان ممسكاً بعضوي وهو يقول : إن ماء الحياة يخرج من هنا فاستحييت وغضضت طرفي .

التأويـــل

تحدثنا عن التكون من بيضة درية نورانية كانت وليس قبلها شيء . فاليونانيون قالوا لا يخرج وجود من لا وجود وهذا صحيح . والخلق بالمعنى الديني هو تكون الخلية الأولى من الدر النوراني ، وههنا فعل الله . فبين المادة والذر النوراني صلة وشيجة . فالنور أصله مادة بمعنى صدوره عن ذر ، والذر أصله نور بمعنى خروجه عن نور . فالذر والنور توأمان متساويان ، قيمة وجوهراً ، وهما الله في ذاته . فلئن سألت أين الله فالجواب هو في النور ، ولئن قلت فمن أين جاء النور كان الجواب النور موجود بذاته وإلا فمن أين جاء الله ؟

ههنا تصبح قضية البيضة سبقت أم الدجاجة على النحو التالي : وجود = لا وجود + خلق . ففعل الخلق صراط رفيع موصول بين اللاوجود أو العدم وبين الوجود الذري النوري .

هذه قضية ، أما عالم الظواهر فداخل ضمن اختصاص الخلق ، وههنا ثمة قضية أخرى عبر عنها فلسفياً بالتكون ودينياً بالخلق . والحق أن الصوفية هي الجسر الوحيد الرابط بين الفلسفة والدين . فالفصل بين خالق ومخلوق وهم ، وهو ضرورية كلامية . والحقيقة أن ما خرج عنه ء أي ما خُلِق ، هو هو في جوهره ، فكيف يخلق ذاته ؟

الفعل إذن صيرورة ذاتية نابعة منها ضرورة . . نقول ضرورة لأن مانجم عن الله غير قانونه ، ولذا إذا قلنا بالجبرية فلحتمية الخضوع لقانون الذاتية . وقد حاول أرسطو طرق هذه المسألة فأشرك وجعل الله مضطراً إلى فعل فعله وهذا خطأ فادح . فالله ما اضطر ، ولكنه تبع نفسه بنفسه فكان النفس المخلوق منه هو نفسه الخالق ، فأين وجه الاضطرار ههنا ؟

والمخلوق هو ما رأيته في الرؤيا صديقي رشيد حسن ، فههنا إشارة إلى عقل (رشيد) . . وتأويل اسم الحسن يمكن حمله على وجهين ، إما وجه الهداية وهي ربانية لأنني كنت متصلاً به من حيث الفعل (الإمساك بعضوي) ، وإما وجه العموم وهو الخير الكوني فيكون التأويل أن العقل أو القلب أو الانسان الجامع قد تعلق علوقاً بالنور المحمدي المشع عن الدر النوراني ، أو هو النور ذاته من حيث قابليته للجهات .

ولا يحاولن أحد فصل شيء من هذا الكلام عنه ، فما كُفِّرت المتصوفة إلا لما فُعِل ذلك بهم من قبل البعض . فخذ روح النص كله ولا تفرق . فالخالق مخلوق لصدور ماهيته عنه ، والمخلوق خالق لرجوعه إلى ماهيته ، والوجود إطلاقاً له خالقاً ومخلوقا .

*

« رؤيـــا »

رأيت عمي سهيل في سيارة صغيرة بيضاء وهو في بذلة ضابط عسكري كبير ، فركبت معه ، فقال لي إن ابنته رغداء تريد كتابين فأردت أن أعرف عنوان الكتابين .

ثم وجدتني مع عمي أمام جمع من الناس وقد ارتديت بذلة ضابط أيضا . وكان يبرز من كمي المرفوع كم كنزة صوفية رصاصية اللون . ثم وجدتني أمام جبل كبير يحاول ناس تسلقه بالحبال . وفجأة صبت على الجبال مادة من نوع الاسبيرتو المستعمل في الطب للتطهير فتقطعت الحبال كلها ، وهوى معظم العمال ميتين ، فحدث حزن عميق ، وبكى الناس موتاهم . ثم وجدتني في غرفة مع عدد من الناس فإذا يد عملاقة تمتد من الشباك وتحاول اختطاف الناس الذين تفرقوا . ثم أمسكت بسرير اختبأت أنا تحته وراحت تحاول إخراجه من الشباك فأخذني خوف عظيم وانتبهت فزعا .

التأويل

الصيرورة ماصار الشيء إليه . وضمير إلى عائد إلى هو فصار إذن هو هو فدار الزمان فكان الله زماناً أي ظهوراً ، فهو حركة الزمان ودورته وظهوره وبدايته ومنتهاه ، وهذا هو حال الحدوث . أما حال الإمكان فلإمكان اتصال العوارض بالمتشخصات ، والعوارض ما عرض من الصفة ، والمتشخصات ما تجوهرت به الصفات . فعالم الإحداث هو تابع من جهة لعالم الهُو الماهية ، ومُطِل من جهة على عالم الهُو الصيرورة . فهكذا عاش الحق خلقه أو زمن ظهوره فكان بهم ، وكانوا به ، فلا فصل ولا تفريق . وكُفِّر الشيخ الأكبر لما قال بهذا وقيل فيه قد جعل من الرب عبداً ومن العبد رباً ، وما أشرك على الحقيقة إلا هؤلاء . فمن هو العبد الذي كان رباً ، وكيف يكون رباً وهو مربوب ، وكيف يكون الإله مألوهاً وهو إله ؟ والشرك الأعظم فصل الخالق عن الخليقة ، وإلا فلم قال سبحانه (ونحن أقرب إليه من حبل الوريد) ، وقال (وهو معكم أينما كنتم) . . فإن قلت هذا حال فيه سائل ومسؤول قلنا إن تأويله أن الفنان خلق صورة فقال هذه لي ، فهي له باتباعها يده ، أما في وجودها فمن هي ؟

فاتبع حسنة الخلق بسيئة الظهور بأناك تمحها ، وأحسن إلى الله بظهوره بك كما أحسن هو إليك بظهورك به ، فما من فارق سوى وجهي الماهية ، الذات

المحدثة والذات المحدَثة . فالحق تجلى له ، وما تجلى لسواه ، ولذلك ماكشف سره إلا للكمّل من الناس فقال أنتم أنا أنظروني في الخلق تجدوني ، ومن لم يجدني هناك فلن يجدني لا في دنيا ولا في آخرة .

والرؤيا قد قالت بوجود ضابطين ، عمي سهيل النجم ، وهو رمز الحق أو الذات النجمية ، أي النابع نورها منها ، وضابط مخلوق هو ابن أخ الذات ، أي بمعنى الإضافة ، وهو ضابط منضبط بضوابط ربه .

أما طلب ابنة عمي لكتابين ، فالكتاب لوح القدر ، والكتابان زمانان ، زمان غير حركي أي قوة، وزمان حركي أي فعل . والعنوان موجود في علم الكشف، ولذلك جهل سر القدر إلا الأقطاب ، وقال الشيخ الأكبر : لا يعرف سر القدر إلا أفراد . وقال : سر القدر من أجلّ العلوم ، فالعلم به يعطي الراحة الكلية للعالم به ، ويعطي العذاب الأليم للعالم به أيضا .

وظهوري أنا خاصة في جمع وقد لبست كنزة صوفية رصاصية ظهر كمها تحت كم سترة بذلتي العسكرية فهذا إشارة إلى ظهور الله فيّ باعتباره الوجود المطلق ، فأنا مجلاه جامع لأسمائه ، أكمل الناس ولا فخر ، ليس لي من الأمر شيء فهو الحكيم العليم يعلم أين يجعل حكمته . والجبل الذي تسلقه الناس بحبال هو جبل الحقيقة ، والحبال أساليب النظر العقلي النظري والعملي سعياً لكشف الأسرار ، فلما استخدم الاسبيرتو تقطعت الحبال بسبب تأثير المفعول السحري ، وهنا إشارة إلى ظهور نور الكشف المطهر من أدران الظهور . فكل سعي لكشف الحقيقة قاصر من دون ظهور نور الكشف .

أما وجود في الغرفة مع ناس ، ثم امتداد اليد العملاقة لأخذ السرير فاليد اليد النورانية القابضة الطاوية للسموات والأرضين ، والسرير البدن الجامع . وههنا تجلى الله فانتفى ما عداه فخفت وانتبهت فزعاً . وليس ثمة ما هو ما أروع وأفظع من مقام الفناء هذا إذ لا ترى إلا الله وحده لا شريك له .

*

« رؤيـــا »

وجدتني في محطة لتوزيع الوقود ، وأمامي شجرة في أغصانها بطـات مختلف ألوانها . ثم جاء رجل فصاد البطات فانقلبت ثلاثة طيور حمر حملتها ومضيت بها إلى البيت وقد أشفقت عليها من ذبحهـا . وأرادت زوجتي أن تطبخهـا مع البرغـل فأشرت إلى طير أحمر سمين وقلت : آه ياسميرة ، يعز علي موت هذا الطائر الجميل .

التأويـــل

وجه الماهية ظهورها ، وظهورها خفاؤها ، وخفاؤها ظهورها . فالثالوث ماله تفريق ولا تمييز . فوجه زيد هو حقيقة زيد باعتبار الوجه ماظهـر منـه وتميز به أي فعله . ووجه الأحوال عائد إلى الحال ، وماحـلّ لافي حيز ولا بواسطـة بل اتخـذ صاحبه خليلاً فتخلله . فإياك أن ترد مالانريد وتقول أردنا وما أردنا .

والعوض عن الظهور الظهور ، والظهور الثاني ظهور حقيقة تسترت ، فدل الباقي على الفاني ، ودل الفاني على الباقي ، ودل الاثنان على الواحد ، ودل الواحد على الاثنين ، وماثم لا واحـد ولا اثنـان بل ماهية مطلقـة أرادت أن تنـكشف فانكشفت . والظهور الماهي ظهـور عنـاصر تكثفـت بإرادة مريد حي قادر يكوّن فيتكون الظاهر .

والعناصر أصلاً تكثفت للغرض ذاته . فلا تفرق بين إنسـان ودابـة تحملـه وأرض تحمل الدابة فلا فوق ولا تحت في عالم العناصر بل هناك ظواهر فقط .

والموجود موجود أولاً وآخراً ، ظاهراً وباطناً ، أزلاً وأبداً ، والتربـط ترابـط خَلْقي لإخراج المستحسن إخراجه إلى ما يمكن تمييزه ، فقس واعتبر ، ونذكرك ألا تحاول الصيد في مائنا ، فماؤنا عذب صاف نمير متفجر من عيون الكافور والزنجبيل والسلسبيل . وما قصدنا إلا هديك إلى من اهتدى بك ، أي ظهر بك لتظهر به ، فتكون أنت هو بلا واسطة ولا تمييز ولا تفريق . وأنت عدم وهو حي ، وأنت فان

وهو باق ، وأنت فاسد العناصر وهو بسيط لا عنصر له ، وأنت متقلب وهو مقلِّب ، وأنت منفعل وهو فعال ، وأنت منكوح من رأسك إلى قدمك وهو ناكح إياك من رأسك إلى قدمك . فما تحركت حركة منك ظاهرة ولا باطنة إلا بفعل هذا النكاح المجازي الحبي الذي رفع الانسان وفضله وكرمه . والرؤيا كشفت عن العناصر المكونة للجسد التي رمز إليها بمحطة بيع الوقود . والشجرة شجرة الحياة المؤتلفة من العناصر ، والبط الملون الصفات وهي في الشجرة أصلاً ، والذي صادها فانقلب البط طيوراً فهو نور التوحيد . والطيور الحمر الثلاثة هي النفس والقلب والروح . وشفقتي عليها من الذبح شفقتي على الخلق الذين ظهروا فانين في مقام الجمع المرموز إليه بالبيت . وقولي لزوجتي لا أريد ذبح الطير وخاصة هذا الجميل منها فإشارة إلى فناء الكلي في الكلي الأول . وقول زوجتي إنها ستطبخ الطيور مع البرغل يعني أن البرغل جزئيات والطيور أرواح ، أو قل روح تدرجت في الظهور من السواد إلى النور على مراحل .

والطهي اقتضى جبْل المادة (الجزئيات) بالروح (الطيور) لنأكل نحن الذين ما خلقنا إلا لنأكل من مائدة الله طعام علومه الموجودة أزلاً من أجلنا . فسبحان المعلم الأزلي ، علّم وتعلم ، إذ لما علّم تعلم ، فرجع مردوده منه إليه ، فطار اللوح وبقي المعلم وانتفى القلم والأثر ، وما بقي سوى النور الأوحد يسبح لذاته بذاته .

*

« رؤيـــا »

رأيتني أمام عربة محملة بمعاطف فرو ، ثم وجدتني في سوق لبيع الملابس القديمة (بالة) . ورأيت أخي فؤاد وصديقي محي الدين هناك . . وقال فؤاد إنه اشترى سترة فجعلت أتفحص السترات فما وجدت واحدة تناسبني ، وكانت سترة بخاصة طويلة الكمين . واعتذرت للبائع لكن أخي أخذ مني خمسة قروش وأعطاها للبائع كتعويض فاشتجرت أنا وأخي حول ذلك .

الفارق بين الظاهر والجوهـر فارق زمنـي . فالظاهـر ظهـر في حيز زمانـي مكاني ، فهو تالف من وقت مبتدئه ، وهو فان باعتباره جسماً له زمن محـدود إذا استوفاه فقد حيويته المحدودة فمات . أما الجوهـر فما زال قائماً بالزمـان والمكان ، متعالياً عنهما ، بمعنى أنه ليس خاضعاً لقوانين الحياة والموت .

فلئن قلت كيف كان الجوهر وكيف صار أو حدث قلنا هذا أمر لا طاقة للغة على الإجابة عنه . فاللغة أصلاً ميتة تحدد الحركة . وحتى إن قلت فلان مشى أو هو ماش أو سيمشي ففي قولك تحديد لحركة المشي ذاتها . ويذكرنا هذا بمثال سباق أخيل والسلحفاة الشهير ، فلئن انطبق هذا المثال بصحة على شيء فهو ينطبق على إمكانات اللغة التي تحبس الحركة في حيز أو في آن أو آنات . وقلنا إن الجوهر خارج عن الحيز والآنات ، فكيف يمكن الحديث عنه أو وصفه وتحديد مبتدئه ومنتهاه ؟

والجوهر جَوْهَر الشيء الظاهر فظهر ، فكل ماظهر ظهر مجوهراً بجوهر ، إلا لما ظهر أصلاً ، ولذا قالت المتصوفة بظاهر الشيء وباطنه ، وسمى الحق سبحانه نفسه باسميه الظاهر والباطن .

وبعد فهل يتعدد الجوهر ؟

الجوهر لا يتعدد لأنه بسيط غير مركب ، والبسيط لا يتجزأ ، ولا يتحول ، ولا يتفرق ، ولا يجتمع ، ولا يحل ، وليس له تضاد ، وليس له شبيه ، وليس له حيز يحـل فيه . وإمكانـات الحيز كلهـا إمكانـات ظهــور ، كما لو قلنــا حوى قفص عصفوراً ، فالقفص ليس العصفور ، والعصفور لم يندمـج في القفص . . ومـع ذلك فليس في الوسع ـ في مجال الجوهر ـ أن نطلق العصفور من قفصه ، فهو سجين أبدي ، ولا يمكننا أن نرى عصفوراً جوهراً فرداً من دون قفص يضمه فافهم هذا .

والرؤيا أرتني معاطف فرو ، والمعـطف ساتـر للبـدن ، فالبـدن هنـا مثـال للجوهر ، والمعطف مثال للبدن ، والفرو مثال الطبيعة الهيولانية . ولقائـي بفـؤاد ومحي الدين في سوق الملابس المستعملة فمعناه يظهر بضم الاسمـين إلى بعضـهما بعضا فيكون الفؤاد قد استيقظ يقظة صوفية فقام من بين موتى الجهل ، ولهذا قال لي إنه اشترى سترة ، أي اشترى ما يستره وهو البدن .

ولما لبست السترة لم تلائمني ، وكان كماها طويلين ، بمعنى أن البدن ضاق عن حقيقة المتصوف التي تجلت له الحقيقة فصار عقلاً مجردا . ونزاعي مع أخي حول الخمسة القروش التي أعطاها للبائع فهو نزاع على الحواس ظاهرة وباطنة . ففؤاد جانب القلب المطل على الروح ، وهو لما استشرف النور رد إليه قوى الحواس . ونزاعي معه نزاع المتصوف مع نفسه حين يرى نفسه مضطراً إلى الانخلاع عن كل قواه وحواسه ليردها إلى الله صاحب السترة الموجودة في سوق الملابس المستعملة أي النفس الكلية الأزلية التي تلبسها الأجسام جسماً بعد جسم .

*

« رؤيـــا »

رأيتني قد دخلت سينما الخيام ، وهي قبو ، فوقفت أمام شباك التذاكر وقلت للبائع لدي تذكرة للدخول اشتريتها منذ أمس . . فلم يصدقني ، وجعل يجادلني ، وأنا أحلف له . ثم التفت إلى إبني إبراهيم وقلت له : أليس ما أقوله صحيحاً يابني ؟ وعندئذ أعطاني الرجل مجموعة من التذاكر صفر وحمر وبيض . ودخلت السينما بعدئذ .

التأويـــل

الزمانية والمكانية آنية مستوعبة من قبل نفس عاقلة منفعلة . وخارج فلك هذه النفس فليس ثمة وعي يقابل هذه الحركة الأبدية . والزمانية ـ المكانية ، والصلة هنا صلة حركة بالطبع ، تقتضي إحداث أثر في النفس المنفعلة للوصول إلى نتائج معقولة تقتضي بالطبع العثور على هويات مطلقة خارجة عن نطاق الزمان والمكان . كقولنا : طار العصفور من القفص وعلا في السماء . ففعل طار اقتضى زماناً ومكاناً عبر عنهما بالقفص ، ثم حدث فعل الطيران ، فانتفى عالم الزمان والمكان ، وصار العصفور ، الذي هو كناية عن الروح اللطيف الشفيف ، صار ماهية مطلقة .

هذا التعريف نظري غير عملي ، ولذلك عادت المتصوفة من النهاية إلى البداية . فعند مشارف اللانهاية طلعت نار البداية وهي أصل العالم الحسي . والفرق حد نظري يُعقل ويتصور ولا يمكن أن يوجد . فإذا سألت فما الغاية من وجود ماهيات محبوسة طليقة قلنا الغرض أنت ياابن آدم ، يامن كنت وعاء النور الالهي المعبر عنه بالعرش . فالماهيات أوجدتك أزلاً ، والماهيات علمتك أزلاً ، والماهيات صيرتك أزلاً باعتبار انتقالك من محسوس إلى محسوس ، ثم من معقول إلى معقول ، ثم انتقال أخير إلى عالم الماهيات المطلقة المسماة الأسماء الحسنى أو الصور المفارقة كما قال الفارابي . فلئن استمررت تسأل : وماذا بعد ؟ قلنا : القصد تعليمك أن العالم المحسوس خلق لك وليلُك على غير المحسوس ، والقصد أيضاً تصور فكرة عن إله لا يمكن تعقله وإلا لحُد ، والله لا يحد ، لأنه حد كل حد .

والماهية هي هو دلت عليه بتجريدات كلية صارت مفارقة ، فاقتضى ظهور أشباح عالم الظواهر في الرؤى يتحركون بإرادة العليم الخبير ليقول لك ماهو وهذا هو عين الماهية . فما أتاكم عن رسول الغيب فخذوه ، وأما غيره فدعوه ، فما كل من قال صدق وأصاب .

والماهية مفارقة باعتبارها شفافة لطيفة لا باعتبارها وجوداً بذاته . فالفناء فناء ظهر أم غاب ، والله حي قيوم ظهر أم لم يظهر . وأنت قدر لك أزلاً أن تعلم الله أو بالله أو عن الله وذلك فضل الله عليك .

والرؤيا أرتني أحمل بطاقة دخول إلى سينما الخيام التي تقع في قبو تحت الأرض ، والبطاقة صفراء اللون ، والاشارة إلى وجود القلب الآدمي في قبو النفس الصفراء النامية لا باعتبار التغذي ولكن باعتبار النمو الروحاني أو العروج . وتأكيدي أني حصلت على البطاقة بالأمس بتوجهي إلى إبني إبراهيم بالسؤال فهذا ماعبرنا عنه بأزلية العلم والمعلم والمتعلم . وكوة التذاكر مشكاة النبوة ، عين البصيرة ، مجلى القلب ومرآته . وقاطع التذاكر هو التوفيق الرباني إذ منذا الذي يشفع عنده إلا بإذنه ؟

وإعطاؤه إياي بطاقات بيض وصفر وحمر هو عطاء عين التوحيد صفاتاً وأسماء وذاتاً ، وفصلنا ذلك في تأويل الألوان من قبل . ودخولي السينما العودة إلى الخلق

متصوفاً ، عالماً ربانياً ، حصل على سر الاسم الأعظم الذي هو (الهُو) فمن عرف حقيقة الهُو وأبعاد الاسم وأغواره صار موحداً وقام بالله بعد فنائه في بحر الهو .

*

« رؤيـــا »

حلمت أني أمشي في شارع الصالحية ، وقد أشرت بيميني إلى عدة دور للسينما كبيرة ، ثم وقفت أمام مطعم كان أمامه مجموعة من الممثلين المسرحيين يمثلون مسرحية كوميدية . ثم ظهر ملاكمان يرتديان لباساً أسود ، ووقفا في وضع مصطنع ليكملا تمثيل المنظر فقلت هذا التصنع لا أحبه .

التأويـــل

سنتصدى الآن لبحث حارت فيه عقول العلماء والفلاسفة وفرق المتكلمين والأشاعرة ومن شابه ، وهو دليل وجود الله ، وهل ثمة مجال للقول إنه موجود أم غير موجود ، وما نوع وجوده إن كان موجوداً ، وكيف يكون عدمه فيما إذا كان معدوما . والسر هنا اسمه المفتاح ، والمفتاح فتح من الله للعبد ، وبه بشر سبحانه نبيه عليه السلام إذ قال (إنا أعطيناك الكوثر) . والكوثر نبع صاف عذب زلال يوفي بالمرام في هذا المقام . فعليه السلام رأى الحق في ظواهره ولم يره عياناً لاستحالة إمكان ذلك ، ولذلك قال سبحانه (فكان قاب قوسين أو أدنى) ، أي كان قربه منه قرب حضرة أي حضور وهو لا يفيد معنى المعاينة .

والمسألة محصورة في قرب وبعد حجابي . فالمستور هو الله لا العبد في عرف العوام ، أما على الحقيقة فالمستور هو العبد لا الله ، لأن الله استبطن العبد فكفر العبد لما ستر ربه وأشرك لما أوجد له كياناً إلى جانب الكائن الحق .

والفرق بين الصيرورة والديمومة هو الفرق بين العبد والرب . فالعبد صائر ،

ولذلك فهو فان حكماً . . أما الديمومة فأزلية ، ولـذلك علا سبحانـه عن الفـوق والتحت والكيف والكم . والقرب منه سبحانه قرب شعور هو ما سمته المتصوفـة ذوقاً . فالذوق ما شربه العبد من خمرة الرب ، فسكر بالخمرة الالهية المعتقة التي تبلبل الحواس وتعطل الفكر وتحير القلب ، فيتوه العبد في هذه المتاهات التي لا أول لها من آخر . وأمر هذا شأنه كيف يمكن وصفه ، وكيف يمكن الدلالة عليه ؟

قل اللهم مـالك الملك ، تعاليت عن الملك ، فكيف يراك من ملكته وكان ملكاً لك .

هذه ناحية المعاينة ، أما ناحية الموجودية فهذا شأن آخر . فالحضور بمعنـى حضر ، ويفيد المعنى الدوام ، والدوام من شأنه أن يمتد أزلاً وأبداً مادمنـا بصـدد القيومية الحية التي لا نفاد لها . هذا الحضور الذي يشعر به العبد هو الدليل الوحيد على وجود الله . فلا عالم الظواهر ولا المعقولات وتجريدات العالم العالم الحسي كافية للتدليل على وجود الله . ولئن أمكن ذلك لما اختلف الناس في هذا الموضوع . فاليقـين استيقـان بالحضـور وهـذا متـاح وممنـوح فقـط للمتصوفة الذين بلغوا مقام اليقين،ومن عداهم لا قِبَل لهم على التأكيد أن الله موجود أو غير موجود .

هذا هو جوهر المسألة ، وعبرت عنه الرؤيا برؤيتـي دور سينما عن يميني ، واليمين هنا نورانية وهي كما قال الغزالي أول ما يظهر من عالم الغيب . ودور السينما الدنيويات ، والجماعة التي كانت تمثل أو تهرج فهـم النـاس صفاتـا . والملاكمان اللذان يرتديان السواد ويتصنعان الغضب تصنعـاً فهما رمـز للصراع الوجـودي . فالمسألة هنا دليل على مالا دليل على وجوده إلا نوره المنبثق منه وفيه . ونـوره نور السموات والأرض (دور السينما والتمثيل والملاكمان المتصارعان) . هذا غاية مايعرف عن وجود الله ، وهو لا يدرك يقيناً إلا للمتقين أصحاب اليقين . قال سبحانه : (إن أولياؤه إلا المتقون ولكن أكثرهم لا يعلمون) .

*

« رؤيـــا »

رأيت قطاً أسود يلعب على سطح أبيض ، والسطح أطل على هاوية سحيقة غير ذات قرار ، والتفت القط إلي وتكلم بلغة لم أعرفها ولكنني فهمتها فقال : كن من تكون ، فلا أنت أنت ولا أنا أنا ، وانطلاقاً منك إلي أكون ، وانطلاقاً مني إليك تكون أنت ، ثم استدار القط وقفز في الهوة السحيقة .

التأويـــل

واعلم أيدك الله بنور منه أن ثمة مسائل لا تقال ولكننا نلمح إليها تلميحاً في هذا المقام . منها مثلاً أن العاقل والمتعقل وجهان منفعلان انطلقا من عاقل غير متعقل . ففعل التعقل هنا صدر عن واحد ليس هو بالواحد ، ولكنه أحد ، أحدي النظرة ، كثير بالنظر ، ولهذا قال القط : لا أنت أنت ولا أنا أنا . والمفاضلة تمت لتبيان العلل وإلا فمن أين سنتثبت من قضية لا ظواهر لها . فافهم والزم واصمت ، ففي إذاعة السر خطر داهم ، وكيف لا وكل من قال ماقال إلا عن قول سابق لا لاحق له . فههنا لا زمان إلا بمعنى التدرج ، أما الأصل فانوجاده في مركز دائري بدايته نهايته ونهايته بدايته وهو ما رمز إليه بالهوة السحيقة .

واعلم أعزك الله أن من البداية انطلقت النهاية أصلاً وإلا فكيف علم الله السابق واللاحق ؟ فالشيئية بمعنى الانوجاد معدومة ظاهراً ، ظاهرة باطناً ، وإلا لتسمت بأسماء معدومة ، وأسماؤها ظاهرة ، ولذلك لزم الحذر عند إطلاق النظر واعتماد الأسباب في استخراج المسببات . فلا واحد إلا الحق ، ولا موجود سواه ، عنه ومنه وإليه وبه وعليه . حيث طرت فلا جهة إلا في دائرته ، ولا مكان إلا على سطحه المائي النوراني الفائض المستفيض . ألا فاعلم والزم ، ألا فاعلم والزم .

*

« رؤيـــا »

رأيتني في حي باب توما ، وهو حي المسيحيين ، ومعي قطع جوخ ، فقلت لخياط مسيحي سأوزع قطع الجوخ على السكان ، وعليه هو وزملاؤه أن يخيطوها لأن اليوم هو يوم عيد الفطر عند المسلمين .

التأويـــل

يقتضي وجود الشيء عدمه بمعنى أن الظهور توأم اللاظهـور وهـو العـدم . والعدم دليل أصالة بمعنـى أن المعـدوم قد دل على ما ظهـر به أصـلاً ثم انعـدم . فالشمس مثلاً غير معدومة ، أما القمر كدورة ظهور وخفاء فهو ظهور وعدم . وعلى هذا المثال قس ظهور الإنسان . . هو ظاهـر معـدوم ، فهـو ميت حي . وليسـت العلاقة جسدية روحية هنا بلا علاقة صلة واتصال . فما اتصل هو الروح ، والصلة البدن ، فلزم التفريق بين الجوهر والبدن ، وحديثنا هو الجوهر واللباب . والانسان بمعناه التفريقي ظاهر ليثبت عدمه ، وإلا فمن أين جاء ، وكيف ، وكيف عقل ، إلى آخر هذه التساؤلات .

والمعدوم يقتضي زوال العدم بمعنى أن دوام الظهـور هو نفـي للعـدم ، كأن تقول : جاء زيد ثم سعيد ثم عمر ثم رضا . فدوام المجيء وتواليه هو توالي ظهور ، والتوالي نفى العدم ، فنفي النفي إثبات ، بمعنى أننا أثبتنا نفي ماظهر ، ثم نفينا نفي ماظهر فلزم لذلك خلود ماظهر .

إلى هذا رمزت الرؤيا بوجودي في حي المسيحيين أهدي قطع جوخ للناس . فالمسيحية مقام صفات (ظواهر) ، والجوخ خيط يتصل لحمـة وسـدى ليؤلف مادة مصورة. فالتوزيع كان من قبل النـور المحمـدي، والجـوخ كثافـة تكثف الهيولى. وحي المسيحيين انطباع المادة الهيولانية بالصورة العقلية وهو ما أشـير إليه بخياطـة المسيحيين للجوخ . فالجوخ خيطه نوراني ، أما الخياطة فصفـاتية من اختصـاص

المعقولات الصفاتية . وعند هذا الكشف يتم عيد المسلم ويخرج من القرآن (الجمع) إلى فرقان (الكثرة والوحدة) معا . وفي القرآن أشير إلى هذا الجمع والتفريق بقوله سبحانه (قل ادعوا الله أو ادعوا الرحمن أيا ما تدعوا فله الأسماء الحسنى) . فالله جامع وهو قرآن والفرقان مفرق وهو كثرة . ورسول الله أيد هذا بقوله : اقتلوا الكلب الأسود البهيم . فالكلب النفس ، والأسود المظلم ، والبهيم إشارة إلى السبعية ، والحديث كله يحث على قتل العالم الظاهري المرموز إليه بعالم ظاهري مسلم سبعي والاستعاضة عنه بدرة نورانية هي أصل الوجود .

« رؤيا »

رأيتني أشتجر مع شخص اسمه يوسف شجاراً عنيفاً ، ثم سرت طريقاً فوصلت إلى دكان حلاق اسمه محمد جمعة ، قسم دكانه قسمين ، قسم جعله مطعماً كان فيه فتيات يأكلن شواء رئات خراف ، أما النصف الآخر فكان بقالية عرضت فيها أنواع الخضار .

التأويل

صراع الأضداد صراع أوهام . فمثلاً يمكن تصور ما يحدث في حلبة الصراع على أساس روح رياضية غايتها استعراض عضلات أساسه المحبة . فإن قلت : كيف كان الشر خيرا ؟ قلنا : لضرورة إظهار قوة العضلات وهي هنا (صفاتية) . فإن قلت : فما تقول في الحرب والمجاعة والجريمة والظلم وما شابه ؟ قلنا : أشباح اعتركوا على شاشة السينما ، وللفيلم غاية ، وأصله قصة مخطوطة في سجل القدر ولابد من خروجها إلى حيز التنفيذ . فإن قلت : وأين ذهبت دموع المظلومين ؟ قلنا : في نار الغضب التي أكلت قلوب الظالمين . فإن قلت : والفقراء ؟ قلنا : في ذل حرص الأغنياء .

فالظاهر فوق وتحت . والحق أن علام الغيوب كفيل بتحقيق المساواة على وجه العدالة الإلهية المطلقة . فإن قلت : فأين ذهب دم طفل قتل بحربة جندي ؟ قلنا : الطفل مَلَك في حضن الملائكة ، والجندي تابع شيطان الغضب ، حبيس في مرجل العنف . والأسئلة لا نهائية والأجوبة لا نهائية بحسب التصنيف . ومن هنا كان من اطلع سر القدر خر لله ساجداً مؤمناً بعدالته . فما ثم مصادفات بل قدر هو للإنسان بالمرصاد . فإن قلت : ماذنب المجرم الذي قدر عليه الاجرام ؟ قلنا : حكمه حكم طفل مات بحربة الجندي . فإن قلت : والطفل ؟ قلنا : دع الطفل لخالقه فما الظواهر إلا أشباح قائمة بالله والله كفيل بها .

والرؤيا أرتني شجاري مع يوسف المتكبر المتجبر ، ولكن وجه العدالة تحقق لما وصلت إلى دكان الحلاق محمد جمعة ، فحلق الحلاق كل لحى الظواهر فما أبقى غير الأدمة الباطنة ، والأدمة لون الصفات الجامع . ولذلك وجدت الصفات إناثاً يأكلن من رئات الخراف . والرئة في الصدر ، وفيها هواء لطيف خفيف . فالصفة التي قامت بها الأشباح تتغذى من روح لطيف خفيف ، فانتفى الظاهر والباطن ومابقي إلا الحق سبحانه ، خلق الأضداد إشارة إليه ودلالة عليه ، وهو مَلِك زعيم مملكته ، حر يفعل مايشاء ، لا سلطان فوقيّ عليه ، ولا رقيب يحاسبه . هذا ملكه ومن أراد تبديل وجه هذا الكون فليفعل .

*

« رؤيـــا »

رأيتني أمام بوابة حديدية ضيقة تمكنت من التسلل من بين قضبانها بسهولة ، ثم تبعني ابني إبراهيم الذي دخل بين القضبان بصعوبة ، ثم وجدتني في سوق الجلد حيث تصنع الحقائب والزنانير . وكان للسوق طابق علوي في زاويته دكان ضيقة رأيت في صدرها الشيخ أحمد حارون العارف بالله جالساً على دكة . وسألني الشيخ : لماذا لم تحفظ عينك وتغض طرفك عن النساء ؟ قلت : لقد حاولت ففشلت ، والله أعلم كم بذلت في سبيل ذلك من جهد ، ثم تزوجت فحللت

المشكلة ووضعت مفتاحها في جيبي . فهز الشيخ رأسه ، ثم اجتزت الدكان ، وأقبلت على نافذة خرجت منها طائراً فوق المدينة بلا جناحين .

التأويل

بين عالمي الغيب والشهادة يقف القطب متأملاً بدائع صنع اللطيف الخبير السميع البصير الذي تحار فيه العقول ، فلا يسع علمه عقل مهما بلغ شأنه . والحد بين الناس والانسان الكامل حد الكمال نفسه ، وهو إلهي ، إذ منذا الذي يريد أن يبلغ هذا الشأو في رقي المعارج فترقى به إرادته . والله اختار لأمته عيوناً منه بثهم فيهم ، فكانوا عيونه أو عينه . فهو هم من حيث اتصافهم بالكمالات ، وهم هو من حيث التحقق بالمحالات . والاكتمال الذاتي شيء غير ذاتي بمعنى أن البحر بحر أصلاً ، أما النهر فمن البحر وإلى البحر .

هذه الدورة اقتضت ظهور الأقطاب ، فسبحان من ظهر بهم ، ونطق على ألسنتهم ، وهدى بهديهم . وهم هو من حيث حمل الأمانة ، وهم هو من حيث الدليل على جماله وكماله وعظمته واتصافه بالصفات الكمالية .

والقطب ليس في أمة . ولئن قلنا سابقاً إنه من الأمة المحمدية فالمقصود بالمعنى النور المحمدي ، فهم من نوره الأول المخلوق أزلاً بعناية من الله . والقطب لا وطن له ، إذ الأرض كلها ملك الله يبث فيها من يشاء من مخلوقاته وعلمائه . والقطب ليس وريث دين معين ، فمعين الأديان واحد ، ولهذا قيل عن الأديان التوحيدية إنها أديان سماوية ، وقيل إن الدين عند الله الاسلام أي التسليم لله ، وقيل إن ابراهيم كان مسلماً أي مسلّماً لله . والقطب لا يتسلسل إلا من قبيل التشخص النوراني ، فهو الإمام ، والإمامة مشروطة بصفات الله وحده ، عليم بحدها ، وقد وصف الفارابي جماعها لكنه لم يأت عليها كلها . والإمامة نور من نور ترفع من يُصطفى درجات فيُعَلّم مالا يعلم ، ولهذا ينتزع من سجنه الطيني بمعنى خضوعه لأمرة نفسه الحيوانية ويلقى به في عالم السماء وهي الغيب المطلق ، فهو حاضر غائب ، لطيف عجيب ،

كامل مكمَّل ، محبوب محبب ، مسدَّد مسدَّد ، ولا أعجب بين خلق الله من هذا المخلوق الذي صار صورة الله ولا فخر .

قال لامارتين : إن في هذا النوع من الناس من يشعون الأنوار ، ويخطفون الأبصار ، ويجذبون إلى مدارهم من حولهم دون أن يفكروا في ذلك ، أو يقصدوا إليه ، أو يشعروا به ، لهم ما للشموس من نظام وجاذبية ، فهم يجذبون من تابعيهم الأبصار والأفكار والنفوس فتعلق بهم وتجري في الفضاء على ضوئهم . جعل الله لهم من الجمال سلطاناً وجنوداً ، ومن السحر أغلالاً وقيوداً ، ومن الحب شرائع وحدودا . فالناس يتبعونهم في الأرض ، ويشيعونهم إلى السماء ، حتى إذا غابوا عن عيونهم اعتراهم البهر فلا ينظرون ، وإذا نظروا لا يبصرون . حتى العامة من الناس يشعرون بهذه الكائنات العليا ولا أدري بأي علامة يميزونهم فيعجبون بهم دون أن يفهموهم كالأكمه يدرك أشعة الشمس دون أن يراها .

والرؤيا أرتني أني اجتزت البوابة الحديدية بسهولة واجتازها ولدي ابراهيم بصعوبة . فاجتيازي هو من مقام النور المحمدي ، واجتياز إبني هو من مقام عين من عيون النور ، ولهذا قال عليه السلام : الولد سر أبيه . والمعنى يشير إلى الشفاعة النورية المحمدية . والسوق الصفات ، والجلد الأبدان . . ودكان الشيخ حارون العالية إشارة إلى معراج وتقريب ودنو ، وسؤاله إياي عن الجنس حساب حبّي إذ لا هادي إلا هو ، وجوابي أني تزوجت فتخلصت من المشكلة ووضعت المفتاح في جيبي فالزواج زواج نوراني ، زواج النفس بالروح ، وانتقال من النفس المنفعلة أو العقل المنفعل أو المرآة المجلوة إلى الروح الفاعل أو النور المحمدي نفسه ، فصار النور متعيناً في شخص ، وإلى هذا أشار الشيخ الأكبر إذ أنشد :

الله يعلم والدلائل تشهد أني إمام العالمين محمد

وقال :

لكل زمان واحد هو عينه واني ذاك الشخص في العصر واحد

والانطلاق من الشباك والطيران في الفضاء إشارة إلى تحصيل رتبة العقل المجرد كما

قال الشيخ الأكبر أو العقل المستفاد كما قال الفارابي ، فصارت طبيعة الحامل من طبيعة المحمول ، أي صار المصطفى من العباد نوراً كله أو عقلاً كله فاستحق مرتبة الأخذ عن الحق بلا واسطة . وإلى هذا أشارت الرؤيا بالطيران في الفضاء فهنا سبحت روح العارف في عالم الروح المطلق ففني ، وفي هذا المقام قال الشيخ أرسلان : الفاني من يصعد بسره في ملكوت السموات كالشمس فلا يطاق النظر إليه .

*

« رؤيـــا »

رأيتني أنا وصديقي الشاعر سليمان عواد وزميل لي اسمه محمد جمعة نجلس على ضفة نهر بردى في ساحة الشهداء وأمامنا بائع حلوى قدم إلينا فطائر محشوة ببذور خضراء . ثم انتقلنا نحن الثلاثة إلى غرفة أمين عام وزارة الاعلام أحمد مدنية حيث وجدت أن صديقي الشاعر وزميلي لهما به معرفة وصلة . ثم تركت الرجلين وخرجت لألتقي قرب مصرف بجمع من الفلاحين فيهم رجل عجوز أحمر الوجه يكلم ولداً له صغيراً بشأن شراء ورقة يانصيب . وجرت عملية السحب فاشترك الجميع فيه إلا أنا الذي انتهزت فرصة وقوع صورة من يد الأب العجوز فقدمتها على أساس أني مشترك في السحب وكانت النتيجة أني فزت بجائزة هي مجموعة من أوراق نقدية صغيرة بدلها البائع فأعطاني بدلاً منها أوراقاً نقدية كبيرة جديدة ، ثم مشيت حتى وصلت وزارة الداخلية حيث كان حراس يقفون ، وكنت أنا خائفاً هارباً من الحشد مخافة أن يفتضح أمري فيعرف الجميع كيف ربحت جائزة اليانصيب دون أن أدفع أية نقود ..ثم مرت من أمامي سيارة فيها أمير هندي رفيع المنزلة ، ولم يكن وراء السيارة موكب ولا احتشد حولها ناس فأخذني العجب . ولكن حشداً من الهنود ظهر ولحق بالسيارة التي اختفت في منعطف قريب فتجمع الهنود أمام سينما تعرض فيلماً هندياً فراحوا يتدافعون مشتاقين لحضور فيلم من انتاج بلادهم .

الفعل والانفعال صادرين عن إشعاع غير ذي فعل وانفعال كصدور النغم من الأوتار ، إذ النغم ذاته لا فعل ولا انفعال . فالفعل محل صدور ، والانفعال محل وقوع الصدور ، والنغم ذاته لا محل له إذ هو صادر من محل إلى محل ، أي من آلة موسيقية إلى أذن تطرقها الموسيقى. والنغم ذاته يجب أن يضرب مثلاً على الحق الذي لا هو فعل ولا انفعال . فالفعل متحرك ، ويقتضي مكاناً يتحرك فيه وقوة يتحرك بها حتى وإن كانت قوته فيه صادرة منه . والحق سبحانه يتنزه عن الحيز والكيف فهو لا يقبل أن يحصر في الحيز والكيف . والفعل الحقيقي بالنسبة للحق هو كحال الأذن التي تطرقها الموسيقا ، فالأذن هنا تنفعل وتفعل أي تنقل الصوت بواسطة عصب السمع إلى المخ ، فالأذن هنا منفعلة فاعلة ، وكل فعل حركي وجودي تحرك بعد أن طرقه الحق بواسطة تأثير شعاعي هو شبيه جداً بطرق النغم للأذن ، وهو أمر لا يمكن تمثله إلا بتأثير الموسيقى في طبلة الأذن وأعصابها وهو ما عبرت عنه الفلسفة بالانجذاب ، انجذاب الشيء إلى تحقيق ماهو فيه بالقوة ، وما هو فيه بالقوة هو مغناطيس إلهي حقاني داخلي يحرك ولا يتحرك .

هذا الوجود الثابت المحرك غير المتحرك بفعل الانجذاب أو الشوق هو ما عبرت عنه الرؤيا بوجودي أنا والشاعر صديقي وزميلي محمد جمعة قرب نهر بردى ، فالجمع هنا جمع وجودي القصد منه الاشارة إلى عين الذات أو البصيرة ، إذ الشاعر شعور ، أي إشارة إلى الجواني ، وجمعة إشارة إلى الجمع ، وعين الجمع إشارة إلى الذات الروحانية الجامعة معه أيضا . أما تقديم البائع الحلوى ذات البذور الخضر فيرمز إلى العلم الإلهي النابع من نبع الذات الجوانية .

وظهور الأمين العام أحمد ظهور الروح الكلي الحافظ المحيط . والأمين الروح الأمين الفعال الكلي . . ومعرفة الشاعر ومحمد جمعة له انكشاف الحق للعارف من داخل البصيرة فإذا (الأنا) الشخصية (هو) على كل حال .

وخروجي واجتماعي بالفلاحين وفيهم العجوز وابنه ، فالاشارة إلى أن

الفلاحين الفلاح ، والأشخاص هم العباد الزهاد الفقراء المقيمون بباب الله يرجون رحمته وأن تمطر عليهم شآبيب ماء علمه . واشتراكي في عملية اليانصيب وظفري بالجائزة دون دفع ثمن الورقة معناه أن الحقيقة علم فطري ذاتي رحماني نازل من سماء الرحمة على المختار من العباد دون التقيد بعبادة قدمت وفروض أديت وليال أقيمت . والصورة الهوية وهي الدخول من بوابة الغيب . وهربي ظفري بالسر . ورجال الأمن هم المحافظون على الحدود الفاصلة بين عالمي الغيب والشهادة لا يسمحون لأحد بالولوج إلى عالم الأسرار إلا من أذن له ربه .

وقدوم الأمير الهندي ظهور الحق سبحانه ، وركوبه السيارة الصغيرة إشارة إلى ذات ناطقة مجردة ، فالسيارة تحمل خمسة أشخاص هم رمز الحواس الباطنة للذات الناطقة . ولحاق الهنود به لحاق الأجزاء بالكل ، والهنود هم أهل الحقيقة ، خواص الناس ، الروحانيون ، ووقوفهم أمام السينما والصور وقوف أمام ظواهر الأسماء ، وكل اسم له صورة ، وشوقهم إلى الفيلم الهندي شوق نزوعي ، شوق المنفيين في سجن الجسد إلى التحرر من قيده للالتحاق بعالم المثل الروحانية حيث الذوات المجردة قائمة بذاتها هناك ، سعيدة في عالمها الروحاني الخالص . والرؤيا عموماً تعبر عن فناء الحركة في المحرك الأساسي الذي هو الحق ، والذي هو روح خالص مجرد ذو قوة يجذب بقوى النزوع والشوق وما شابه ، ثم فناء الأجزاء في الكل ، وذلك بإضافة المتحرك إلى المحرك وإثبات الساكن المركزي الذي يدور كل شيء حوله والسلام .

*

« رؤيـــا »

وجدتني متوسداً فخذ فتاة ، مستغرقاً في النوم ، ثم استيقظت فوجدتني في حمص قد اشتريت من بائع كيساً من حب البندق فأعطيته ورقة نقدية فغلط فرد لي من المال أكثر من حقي . ومشيت متردداً في مراجعة البائع بما حدث . ووجدتني أهبط درجاً وثمة هاتف يقول لي : يامحمد ، لا ترجع إلى البائع فلله اليمين والشمال ،

والكل ملكه ..ثم رأيت من بعيد مطعماً على ربوة ، وكنت قد تناولت طعام الغداء قبل سفري ففكرت أن لو أجلت طعامي حتى وصولي إلى حمص لوفرت مالاً كثيراً . . ثم دخلت داراً للسينما يؤمها العوام ، فاقترب مني صبي فقير متشرد عرض علي علبة بسكويت فاشتريتها بثمن بخس . . ثم نظرت إلى البسكويت تساءلت : أليس دفعي ثمن البندق وعلبة البسكويت يفوق حقيقة ما حصلت عليه ؟

التأويل

سنتكلم الآن عن الحدث والإحداث . فالحدث يقتضي إحداثاً أو محدِثاً ، والإحداث يتم وفق تصور سابق حاضر لا بمعنى ارتسام صورة في شبكة الوجود المطلق ، فما ثمّ سابق على تصور حاضر في ذهن الخلاق مبدع الصور من عدم مطلق كانت بإذنه . والحدث يتكيف وفق الصيغة السابقة ويخضع لإشرافها في كل ساعة من ساعات وجوده ، وإلا فكيف يمكن تصور نمو الإنسان الطبيعي وتمثله الغذاء وتطور وعيه وإدراكه ونشاط غريزته الجنسية في سن معينة واكتمال قوته في سن معينة أخرى ودب الوهن فيه في مرحلة تبدأ مباشرة بعد الأربعين . إن هذا النظام ليس وضع أسس للخلق فحسب بل متابعة تنفيذ هذه الأسس ساعة فساعة أيضا ، ومن هنا تقول المتصوفة إن كل مُحدَث وجودي يقوم بالإحداث والمحدِث ، وإنه هو الحي القائم بذاته الغني عن العالمين .

والرؤيا أشارت إلى هذه الرابطة بين المحدِث والمحدَث حين رأيتني أتوسد فخذ فتاة ، والفتاة هي حواء النفس الحيوانية الواصلة بين الروح والجسد . ويقظتي من هذه النومة الطويلة انسلاخي من أناي وتجردي عن الحول والطول حين رأيت من الفاعل بي وفيّ على الحقيقة . ووصولي حمص وصولي إلى مقام القلب أو النفس الكلية . وشرائي البندق اطلاعي على حقيقة المعقولات التي ظاهرها العالم الحسي وباطنها العالم المثالي أو الروحاني الممثل بحب البندق ذاته .

وعدم ردي المال إلى البائع الذي غلط فأعطاني زيادة عن حقي راجع إلى اطلاع العارف على حقيقة التوحيد التي توحد بين ماهيات الصفات فترد كل

ظواهرها إلى الله وحده، ومن هنا قالت الوحدانية الاسلامية إن كل شيء من الله ، الخير والشر ، الإيمان والكفر ، الطاقة والمعصية ، وكل ميسر لما خلق الله .

ورؤيتي المطعم على ربوة في حمص وتفكيري في أني لو أخرت غدائي حتى أصل إلى هذه المدينة فتلك إشارة إلى مقام التمكين الذي يصل إليه العارف فيطلع الغيب ويعرف أسراره ويرى الفارق الكبير بين ما يمكن أن يحصله العقل بمجهوداته وبين الحقائق التي يطلع عليها العارف ذوقاً وكشفاً فيرى يقيناً أن الله أقرب إليه من حبل الوريد وان ما من شيء إلا ويسبح بحمده لأن الماهية ماهيته هو على الحقيقة .

وإلى قلة حيلة العقل هذه أشارت الرؤيا بشرائي البسكويت من الصبي المتشرد في السينما . فالسينما صور أي مثل ، والبسكويت بني أي وسط بين السواد والبياض أي هو إشارة إلى العقل ، واكتشافي أن لو اشتريت بثمن البسكويت والبندق شيئاً أفضل فيرمز إلى الجهود المبذولة من قبل العقل لاكتشاف الحقيقة عبثا . والرؤيا عموماً تصر على ضرورة الربط بين المحدِث والمحدَث في مجال العلم اللدني لحاجة المحدَث إلى معلم أساسي هو الحق سبحانه حيث لا يأتي علمه الباطل من بين يديه ولا من خلفه ، فما أوحى به إلى عبده هو اليقين وعينه وحقه لا غير . ومن هنا نادى الغزالي وكانط بضرورة تصفية القلب لمعرفة الحق بذاته عن طريق الحدس والذوق لا عن طريق النظر العقلي وأساليبه .

*

« رؤيـــا »

رأيتني في اللاذقية ، والبحر عاصف ثائر موجه كالجبال ، وقد قذف البحر مافيه من مراكب وصيادين إلى البر شظايا وأشلاء . كما قذف بكتل متجمدة من النفط الأسود . ثم رأيت أختي ليلى وزوجتي سميرة جالستين على سور حجري قرب البحر .

صلة الله بالانسان صلة وحي ، والوحي مشروط بحدوث نتائج معينة لها صلة بمقرونات مماثلة في عالم الغيب ، فبين العالمين ، الغيب والامكان ، هنـاك صلـة وشيجة هي ماعبر عنه بالوحي أو جبريل .

وصلة الوحي هذه أشبه بلعبة شد الحبل بين فريقـين ، فالفـريق الأول هو الوحي يشد الحبل إليه صوتاً خفياً في حين أن الفريق الثاني وهو الـذات الناطقـة الجزئية المسماة الانسان تحاول أن تداور وتناور وتبتعد وتقترب خلال المباراة .

والجبروت يقتضي قطعاً فوز الوحي على القـوى المنفعلـة ، وهـذا هو حكم الكلي في الكون ومُثِل في القرآن بقوله تعالى (غُلبت الـروم وهـم من بعـد غَلَبهـم سيغلبون) ومعناه أن الله قدر أن يقع هذا الحدث في زمن معين ومكان معين وأن هذه إرادته ولا راد لإرادته . أما الحركة التكتيكية فذات طبيعة مختلفة ، إذ المناورة ذاتها ، والتذبذب يميناً وشمالاً والتردد داخل وجوباً في ظل العقل الجزئي المنفعل . فالمجال هنا إنساني بحت ، وبطله آدم وبنـوه ، ولا سبيل إلى الحـكم على هذه الجـزئيات مسبقاً ، وهي داخلة في ميدان الحرية الانسانية المحدودة جداً للانسان . فالخيط إذن دقيق ، فبين الجزئي والكلي يقف الله والانسان . الله قهـار على الأمـور الـكلية ، والانسان سيد الحركة الجزئية وتوابعها . وفي هذا الميدان بالذات أكثر الله الحديث إلى المؤمنين فوصاهم وحدد لهم الطريق ، طريق الشريعة والدين وحمسهم ووعدهم وتوعد الخارجين منهم على الصراط ، علماً إن هذا يظل يقع داخل نطاق التكتيك وعلماً أن الاستراتيجية لله وحده هو مالك ناصيتها وصاحبها وسلطانها والقهار فوق عباده دائماً وأبدا .

ولقد جاء في الرؤيا أني جئت البحر فوجته هائجاً قذف مافيه من مراكب وصيادين إلى البر . فظهور البحر على مافيه هو ظهور الكلي على الجزئي في العالم الكوني . وجلوس أختي وزوجتي على سور حجري هو الاشارة إلى صوت الوحي إذ الجمع بين ليلى وسميرة يخرج هذا التأويل ، فليلى اسم المحبة وسميرة الفكر السمير

أو الوحي ، وجلوسهما على حجر تمكنهما من العالم الظاهري الذي رمز إليه بكتل النفط الأسود التي ألقاها البحر على الشاطىء .

*

« رؤيـــا »

وجدتني في دار للسينما فأذن مؤذن لصلاة الجمعة ، وقام نصف المتفرجين وغادروا السينما لأداء الصلاة . ثم رأيتني أركب سيارة خضراء توقفت عند تقاطع طرق ولم تتابع سيرها حتى ضاء الضوء الأخضر الموجود عند المفترق . ثم وجدتني قد دخلت بيت عمي سهيل ولقيت ابنتيه رغداء وأمية ، وقدمت لي امرأة عمي طبقاً من (الفتوش) . . ولما هممت بمغادرة البيت للذهاب إلى عمي الذي يملك مطبعة إذ بالباب يفتح ويدخل عمي . وخلال حديث معه أخبرني أنه قام بنزهة يوم الجمعة الماضي ودفع لقاء النزهة مالاً كثيرا . ثم جعل عمي يأكل كوسا محشوة ، ثم ظهر صديقي محي الدين صالح عنده . . ثم وجدتني أقترب من قريبة لي اسمها لمى حيث ساعدتها على عقد سوار ساعة ماسية صغيرة حول معصمها .

التأويـــل

الإيناس صفة الانسان المتأنس الذي تآلف فألف . وأصل الألفة هنا تفاهم روحي بين جمع معين من الناس جمعتهم صفات وطباع واحدة . وإلى هذا أشار الله سبحانه إلى من سماهم أصحاب اليمين وأصحاب الشمال . واليمين من اليمن وهو الحظ والشمال عكس لذلك . وحظ كل من الفريقين هو ما أشار إليه عليه السلام في حديثه بأن المخلوق يخلق سعيداً أو شقياً وهو في بطن أمه .

والإيناس رؤية العين لمثيل لها كقولنا مثلاً سعيد الجواد لقي حسام الجواد ، فرأى فيه الجود فأحبه ، وهذا هو مجال ظهور صفة . والحق أن التفاهم الروحي يمتد إلى أبعد من ظهور الصفة ، فهو يدخل هنا في مجال الحدس ، وهي حاسة تمكن صاحبها من تعرّف مثيله حتى من قبل أن يصدر عن مثيله ماهو شبيه بفعله هو ، وإلى هذا أشار النبي قائلاً : الأرواح جند مجندة ماتعارف منها ائتلف وما تنافر اختلف .

وعند الاستيضاح عن هذه النقطة بالذات تقول المتصوفة إن عملية التعارف الروحية هذه تمتد إلى أعماق لايصل إليها العقل، وهي أعماق تطل فيها جوهر الأعيان الوجودية على بعضها بعضا باعتبارها ماهيات متشابهة ترى أمثالها في شعاع العين والنظرة المطلة منها ، وحديث النبي شمل هذا المفهوم الصوفي أيضا .

والرؤيا أشارت إلى هذا لما وجدتني في السينما ، وهي هنا رمز إلى الدنيا التي هي صورة مجسمة للمعقولات ، فلما أذن المؤذن لصلاة الجمعة قام نصف المتفرجين وخرجوا قاصدين الجامع للصلاة ، والصلاة هنا صلاة صراطية فرقت بين الناس فجعلتهم فريقين فريقاً في الجنة وفريقاً في النار .

وركوبي السيارة الخضراء ركوب طريق اليقين الروحي ، والاشارة الخضراء إشارة إلى أن الايذان بدخول باب اليقين إيذان علوي لا علاقة له بجهاد مكتسب ولا رغبة مريد ، وهو أمر أشرنا إليه من قبل ونبهنا عليه وخالفنا الغزالي الذي دعا الناس إلى التصوف فكانت النتيجة أن ظهر أصحاب الدفوف والمزامير ، وظهرت حلبات الرقص ، وكثر المريدون الطالبون وقل الناجون الحقيقيون الفائزون بالنصيب المكتوب لهم أزلاً في لوح القدر .

ودخولي بيت عمي سهيل دخول باب الغيب . فاسم عمي إشارة إلى النجم سهيل وهو من سكان الأفلاك . ولقائي بابنتي عمي رغداء وأمية فإشارة إلى زيادة في العقل النظري . فرغداء من الرغد ، وهي سمراء وسمرتها وسط بين السواد والبياض وهو مقام العقل المتوسط بين نور المعقولات وسواد المحسوسات . وأمية من أمة ، وهي عبدة مالكها ، فالعقل هنا أسلم أمره لزمام آخر غير مالكه فصار في رحمة الحق سبحانه الذي سيعلمه فوق علمه ويطلعه على شواهد الغيب .

وتقديم امرأة عمي (فتوشا) ، وهو نوع طعام يتألف من خضار متنوعة ، فهو رمز إلى كشف صفاتي . وظهور عمي في اللحظة التي كدت أغادر فيها البيت إلى المطبعة التي يملكها فهو إشارة إلى ظهور نور الحق في ذات الانسان من غير توقع . . وكون عمي صاحب مطبعة يعني أن الحق صاحب الصور ، إذ عمي يطبع الصور عادة . وقوله إنه قام بنزهة يوم الجمعة ودفع مالاً فإشارة إلى إرادته سبحانه في الظهور وتعرف عباده إليه ، لأن المال كناية عن العلم ، فهو سبحانه الذي اصطفى الانسان

وخصه بذاته الناطقة العاقلة التي لولا اصطفاء الله لها ما عقلت وما علمت . وأكل عمي كوسا محشوة عود لله على بدء إلى جزئيات العالم المحسوس التي احتواها الروح المجرد كلها ، فعاد الفناء فشمل الموجودات الحسية كلها .

وظهور صديقي محي الدين انبثاق القطب عن الحق ممثلاً له ، متكلماً بلسانه ، وموحى إليه بأسرار الربوبية.وإقدامي على عقد سوار ساعة ماسية صغيرة لقريبتي لمى إشارة إلى قيام ذات العارف من بين موتى الجهل . فلمى من لمياء وهي شفة الزنجية الحسناء . . والزنجية النفس الحيوانية ، والشفة إشارة إلى الذات الناطقة ، إذ الشفة تمت إلى عملية النطق بصلة . وكون هذه الشفة مائلة إلى احمرار كناية عن ارتباط الذات الناطقة بأصل روحي يمدها بالإلهام الذي تنطق به . والساعة رمز لقيام الساعة ، وكونها صغيرة إشارة إلى القيامة الصغرى ، وكونها ماسية إشارة إلى قيمة هذا المقام الذي يدل على معدن صاحبه الثمين . والمعنى يدل على رفع ذات العارف الناطقة فوق ذوات الناس الناطقة جميعاً .

*

« رؤيـــا »

رأيتني أتحدث إلى أبي عن موضوع سفر أخي فؤاد إلى الصحراء فأشرت إليه بأن يلبس أخي سروالاً مستعملاً ليلائم السفر إلى الصحراء ولكن أبي غضب بشدة وقال إنه لن يلبسه إلا سروالاً جديداً نظيفا . ثم التقيت صديقاً لأخي اسمه فاروق فكلمته في المسألة فخطأ أبي ووافقني . ثم وجدتني أمام دكان خياط وأمام الدكان شجرة علقت بها قطعة لحم فأقبل قط جائع فانقض عليها وجعل يأكل .

التأويـــل

قلنا فؤاد القلب ، والسفر إلى الصحراء رحلة القلب في هذه الدنيا ،

ونصيحتي بأن يرتدي أخي سروالاً مستعملاً إشارة إلى النفس الحيوانية المعبر عنها بحواء وهي رمز للخطيئة لكنها مصدر القوى الغضبية والشهوية . ورفض أبي استعمال أخي للسروال المستعمل والاستبدال به سروالاً جديداً نظيفاً فإشارة إلى عدم قبول العقل الوصي على الولد فكرة ارتكاب خطيئة أكل تفاحة اللذة بإغواء حواء النفس الحيوانية . فكثير من المفكرين تهجموا على فكرة الخطيئة الأبدية التي ارتكبها الانسان منذ عهد آدم . وقال نيتشة : يريدون أن يعدوا الانسان مسؤولاً عن خطيئة لم يرتكبها . وهذه القضية هي ماعبر عنها أبي رمز العقل في هذه الرؤيا .

ولقائي بصديق أخي فاروق إشارة إلى تفسير ارتكاب الانسان للخطيئة . فالفاروق العادل ، وقد وافقني الفاروق على رأيي وهو ضرورة استعمال القلب (فؤاد) للسروال المستعمل غير النظيف الذي هو النفس الحيوانية وذلك من أجل غاية حددها الله بأن يتعلم آدم الأسماء الحسنى ، وأين ؟ بعد خروجه من جنة الروح وهبوطه إلى أرض البدن مقر النفس الحيوانية . وهذا هو كشف سر إرادته تعالى في إغواء آدم من قِبَل حواء بتأثير شيطان القوى النفسية الغضبية والشهوية . فبعد أن ارتكب آدم الخطيئة أحس بالندم وتاق إلى التوبة وجعل يتساءل عن سبب خطيئته وعن سر وجوده وعن غاية حياته وعن الثواب والعقاب إلى آخر هذه المواقف الوجدانية النفسية . فالخطيئة كانت إذن سبباً إلى التساؤل ، والتساؤل باب التفكر في خلق السموات والأرض ، وساعة تفكر خير من سنة عبادة . وهكذا نرى العدل الإلهي متجلياً في ضرورة ارتكاب آدم الخطيئة ثم التكفير عنها بالتوبة والندم والشوق إلى العودة إلى حظيرة روح القدس ولقاء الله تعالى . ولقد جعل الغزالي الخطيئة أول خطوة على طريق العودة إلى الله ثم انتقل إلى التوبة وجعلها تحت الوجوب ، أي هي مِنّة من الله على العبد لكي يبدأ رحلة العودة بالذات .

هذا ما عبرت عنه الرؤيا بوقوفي أمام دكان الخياط ، فالخياط يخيط قطع الثوب ، ويصل الظاهر (القماش) بالباطن (البطانة) . والظاهر العالم المحسوس ، والباطن العالم المعقول ، والجميع يؤلف شجرة المعرفة التي رأيتها أمام الدكان وهجوم القط على قطعة اللحم المعلقة بالشجرة رمز إلى شوق النفس ، التي رمز إليها بالقط ، إلى المعرفة التي رمز إليها بقطعة اللحم والتي ربطت بالشجرة ، والشجرة

جذعها في الأرض ، أرض النفس والبدن ، وفرعها في سماء الروح . فلا مناص إذن للنفس من ارتكاب الخطيئة لتبدأ عروجها إلى سماء الروح ، وإذا هي لم تفعل ، وإذا أصر المفكرون على لا جدوى اعتماد المسيح على فكرة الخطيئة الأبدية فإن النفس ههنا تغدو ضحية قواها الغضبية ، وهي هنا إشارة إلى الكبرياء التي مثلها أبي والتي من نتائجها بقاء النفس خارج فلك المعرفة وحرمانها من رحلة العودة إلى حظيرة الروح ، وذلك لأنها إن لم تسقط في الشر لن تعرف الخير ، ومن لم يعرف الشر والخير لم يعرف نفسه وبالتالي لم يعرف الله . فالخطيئة ضرورة والندم واجب وكل من عند الله . وقال سبحانه : (إنا كل شيء خلقناه بقدر) . وقال : (وكل شيء عنده بمقدار) . وقال : (ماأصاب من مصيبة في الأرض ولا في أنفسكم إلا في كتاب) .

*

« رؤيا »

رأيت زوجتي تنظر من الشباك ثم قالت : جاء أخوك رأفة من اللاذقية ، ثم رأيت أخي ممدداً عند الباب ، وقد أسند رأسه إلى طبق فيه بطاقا مقلية بالزيت . وقال أخي : مازلت بحاجة إلى نقود للزواج . فقلت : غداً يقبض أبوك مالاً من الإرث فيعطيك .

التأويل

اسم زوجتي إشارة إلى الذات الناطقة ، واسم أخي اسم الله الرؤوف . ورؤيتي أخي عند الباب ظهور الحق ، وحياً ،بباب القلب وهو عين البصيرة . وتمدده وإسناده رأسه إلى طبق فيه بطاطا مقلية معناه قيام الحق بالمعقولات ، إذ البطاطا ذات لون أبيض ، وهي لب كلها ، وقد قليت بالزيت الذي هو نار روح

القدس الذي هو قوام الوجود المادي . وتصريح أخي بأنه فقير وبحاجة إلى مال معناه حاجة الحق إلى قيامه بالمعقولات التي هي ماهيات الأسماء الحسنى . واستناد رأسه إلى طبقها الجامع لها معناه أن الحق لا يمكن ظهوره ولا تعرفه إلا من خلال هذه المعقولات وقولي إن أبي سيقبض مالاً فيعطيه معناه أن النور الإبراهيمي عَقل الوجود الفعال سيمد الحق سبحانه بظواهر النور وانتشار جهاته وظهور آثار المعقولات في العالم الخارجي . ومن هنا قالت المتصوفة إن حاجة الله إلى خلقه كحاجة الخلق إليه ، إذ هم ظواهر عيونه ، ولولا الظاهر ماعرف الباطن ، وكمال وجود الباطن الخفي يقتضي جبراً إلحاق الظاهر الجلي به . ولذلك كان الحق بحاجة إلى ظهور آثار المعقولات ليتم ظهوره هو ، وإلا لظل كنزاً مخفياً لا يعرفه أحد ، وهذا ليس من شيمة الحق الكريم الجواد الذي خلق الخلق ليعرفوه به .

وأنشد الشيخ الأكبر :

فلولاه ولولانا لما كان الذي كانا
فأعطيناه مايبدو به فينا وأعطانا
فصار الأمر مقسوماً بإياه وإيانا
فأحياه الذي يدري بقلبي حين أحيانا

وأنشد أيضاً :

فهو الكون كله وهو الواحد الذي
قام كوني بكونه ولذا قلت يغتذي
فوجودي غذاؤه وبه نحن نحتذي

وله أيضا :

فيحمدني وأحمده ويعبدني وأعبده
فاني بالغنى وأنا أساعده فأسعده
لذاك الحق أوجدني فأعلمه و أ وجده
بذا جاء الحديث لنا وحقق فيّ مقصده

وقال :

فنحن له كما ثبتت أدلتنا ونحن لنا
وليس له سوى كوني * فنحن له كنحن بنا

« رؤيـــا »

رأيت زوجتي تقول لي : لقد جاء خالد صديق أخيك رأفة وخاطب ابنتنا جمانة فقلت له سأريك صورة جمانة وهي طفلة . . ولقد نقبت في خزانتي فما عثرت على صورة لجمانة ، وثار غيظي ، وقال لي خالد مهدئاً : ومالنا وللصورة ، إن رؤيتي جمانة الآن يكفيني . . فما أقنعني ذلك ، ثم حدثت نفسي بأنني سأفصم الخطبة فإذا أخوك رأفة يأتيني غاضباً ثائراً قائلاً : وأين وعدك الذي قطعته على نفسك ؟

التأويـــل

زوجتي أم ، والاشارة هنا إلى النفس الكلية ، وابنتي إشارة إلى النفس الجزئية . ومجيء خالد السؤال عن أصل النفس الجزئية ، وهذا هو السبب الذي حدا بزوجتي على أن تري خالد صورة ابنتنا ، ولما لم تجد هذه الصورة غضبت . وجواب خالد أن رؤيته لجمانة دون صورتها يكفيه معناه أن الفصل بين عالمي المُثل والمحسوسات مستحيل ، فالصورة لا تفارق المادة كما قال أرسطو ، وإذا زالت الصورة زالت المادة ، والصورة والمادة خالدتان فلذلك خطب خالد جمانة النفس الجزئية . وفصم هذه الخطبة مستحيل لأن عالم الظواهر هو من آثار رحمة الله عز وجل ، وهو سره وظهوره على الحقيقة . فمن لم ير الوحدة في الكثرة ، واستدل بالنفوس الجزئية على النفس الكلية المنفعلة عن روح الله ، ومن لم يرض بظهور الخلود الكلي بمظهر الفناء الجزئي والعكس بالعكس فإنه سيغضب الحق سبحانه . وإلى هذا أشارت الرؤيا بغضب أخي رأفة الذي هو اسم الله الرؤوف عندما قال لزوجتي إنها لم تف بوعدها ، وهو الوعد الذي قطعته النفس الكلية على نفسها في الأزل بقبولها آثار الحق سبحانه وأفعاله وصفاته .

*

« رؤيـــا »

رأيتني في بيتنا مع أبي الذي كان يريد أن يفرض إرادته علينا فرضاً فقلت له : سأرتب البيت وفق هواي فأنا لي شخصيتي ولي دوري أيضا . ثم وجدتني على طريق مع قريبة لي اسمها نجوى أحدق إلى ذراعها العارية بشدة ، ثم أعطيت ابنتها الصغيرة عشرة قروش لتشتري فستقاً ، ولكن أختي ليلى أعطتها ليرة كاملة ، وكانت قريبتي مشهورة بنزقها وسوء الطوية . ثم وجدتني في اللاذقية قرب البحر والفصل خريف ليس ملائماً للسباحة . . ومع ذلك فإن شوقاً دفعني إلى البحر فغطست قدمي فيه فإذا الماء دافىء . ثم دخلت حماماً للسباحة وأنا عار إلا من سروال أزرق حوافه بيض فأردت أن أستأجر سروالاً للسباحة ، ولكن صاحب الحمام طلب أربع ليرات أجراً له فاستكثرت ذلك، والتفت إلى شاب بقيته هناك وقلت له: كل ماأريده أن أكتب كتاباً في علم التأويل ومادام ذلك قد تم فلماذا أدفع هذا المبلغ . ثم رأيت سباحين واقفين في الأعلى فقفز أحدهم و كان يرتدي ألبسة صوفية فعام على سطح الماء ثم جعل يحك لحيته النامية بإفريز صخري حتى استطاع أن يخرج من الماء . وكان حولي فتيان أصحاء الأجسام مرد الوجوه سباحين مهرة من أبناء الشاطىء . وقارب الوقت المغيب ، واستغربت أن يظل حمام السباحة مفتوحاً حتى ذلك الوقت . ونظرت فرأيت صاحب الحمام قد مدّ بساطاً صوفياً فوق حوض عال فجعل الفتيان يسبحون فيه .

التأويـــل

البيت القلب ، وسيطرة أبي إبراهيم عليه سيطرة النور الابراهيمي أو العقل الفعال على كل مايجري في البيت . واعتراضي بأنني حر أفعل ما أشاء إشارة إلى دور العقل ـ الفكر في مرحلة الاختيار التي تسبق الوصول إلى مقام اليقين .

وسيري على الطريق هو الايمان ، والمؤمن عدو للشر ، محارب له ، وهو يولي

الخير شطره وهمه . وهذا معنى إعطاء ابنة قريبتي نجوى عشرة قروش فقط . فنجوى الصوت الخفي في الذات ، وكون القريبة سيئة الطوية إشارة إلى وسوسة الشيطان الخفية . ولكن إعطاء أختي ليلى للفتاة ليرة كاملة معناه أن التوحيد يقتضي عدم التثنية ، فليس ثم إلا اله واحد في الوجود ، عنه يصدر القضاء خيره وشره .

والحب الالهي الذي أشير إليه باسم ليلى غفر لحاملي صفات الشر لكونهم ظواهر عيون بعض الأسماء على الحقيقة ، فهم هو من حيث الظهور ، وظهوره كان باسم المنتقم والجبار والمتكبر . فالتوحيد الحقيقي إدراك سعة شمول اسم الرحمن الغفار الذي غفر لظواهر الأسماء جميعا .

ومن لم تظلله نفحة الحب لا يصل إلى جوهر التوحيد . فابن رشد ، على طول باعه في علم المنطق والفلسفة ، قصر عن بلوغ هذه المرتبة السنية فظل خارج مدى فلك الأوقيانوس يعزو صدور الشر إلى المادة ، وهو بذلك قد أشرك فأثبت في الوجود قدرة لغير الله وحده .

ووجودي في اللاذقية الوصول إلى مقام اليقين ودخولي في ظل نفحة الحق العلوية ، إذ اللاذقية رمز إلى استشراف بحر الذات الكلية . وكون الفصل خريفاً إشارة إلى أن سن من تظله نفحة الحق تقارب الأربعين ، وهي سن وسط بين حرارة الشباب وبرود الشيخوخة . ومعنى كون الفصل غير ملائم للسباحة أن السالك في هذه السن يكون قد فقد حماسة الشباب وقواه وتعب من كد العبادة وشدتها ، ومع ذلك فإن شوقه إلى لقاء ربه يدفعه إلى بذل أقصى ما يستطيع لارضاء من دعاه إلى زيارة بيته المحرم من نار النفس البهيمية فلبى النداء بكل طاقته وجوارحه .

وإلى هذا أشارت الرؤيا بأني دخلت حمام السباحة وأنا عار إلا من سروال أزرق حوافه بيض . فالسروال النفس الحيوانية لأنه يستر العورة ، وكونه أزرق أبيض إشارة إلى حبس قوى النفس من قبل نور سماء البصيرة . وطلبي سروالاً للسباحة بذل السالك كل ما لديه في سبيل الوصول إلى مقام الرضا الذي هو مفتاح جنة سعادة الصفات . وطلب صاحب الحمام أجراً مرتفعاً لتأجير السروال رمز إلى عظمة تكليف الحق للعبد المصطفى وهو أمر لا يكاد يتصوره خيال ، وسنصف تفاصيل هذه المقامات في كتاب سميناه (العارف بالله) .

وإلى هذا أشارت الرؤيا برؤيتي سباحين واقفين يرتدون ألبسة صوفية ، وقفز أحدهم إلى الماء وحك لحيته النامية بإفريز صخري بذل المستحيل في سبيل الخروج مما وجه نفسه فيه من أحوال المقامات ومتطلباتها . وشعر اللحية رمز القوة ، والصخر القوة العليا التي يمد بها الحق عبده ليستمر في مجاهداته المضنية التي جعلت قدمي النبي عليه السلام تتورمان من طول قيامه الليل والصلاة .

ورؤيتي الفتيان الأصحاء المرد الوجود ظهور عوالم الملكوت المتمثلة بظهور حقيقة جواهر الأسماء الحسنى بواسطة حاسة المخيلة التي صفت وانجلت وصارت قابلة لتلقي إشعاع الأنوار . واقتراب المغيب اقتراب قيام ساعة السالك وهي تحققه بوحدته الذاتية مع الحق ، ولا فصل في هذا المقام بين الظهور والخفاء ، بين الحق والخلق ، بين الغيب والشهادة ، بين الملك والملكوت . فالكل واحد ، الخلق ظاهره والحق باطنه . ومقام الجمع هذا أشارت إليه الرؤيا بالحوض العالي الذي يبلغه المتصوفة فقط ليشربوا من كوثره وسلسبيله وكافوره وزنجبيله ثم يخرجون إلى الناس بعلوم الكشف والتأويل .

*

« رؤيـــا »

رأيتني واقفاً حت شرفة صديق لي اسمه مأمون حمصي أتغزل بأخته واسمها أميمة التي مدت لي من كوة في سور الشرفة صحيفة فيها كلام عن الحب . ثم أطل مأمون متغير الوجه فاستحييت وانصرفت . ثم رأيت أخي يوسف مستقلاً سيارته الصغيرة البيضاء وواقفاً أمام بقالية . ثم رأيت ابن عمي ، وهو طبيب ، خلف سور بناء فمددت يدي أصافحه ، ثم رأيت أبي قد خرج في صباح العيد مرتدياً بذلة جديدة وطلب إلي أن أرافقه فاعتذرت فأصر ، فقلت مزاجي يهوى الوحدة وهذا طبعي . ثم أمسكت بسترته وكانت سوداء وسألته : هل يمكن أن تقلب لون سترتك إلى اللون الأحمر ؟ وهكذا أنا . ثم توجهت إلى بيتنا فالتقيت ابن جيران لنا اسمه

توفيق واقفاً أمام درج خشبي ، وهنا قلت لنفسي : كان ينبغي أن تمنح لي السلطة لأضع كل إنسان في محله . ثم وجدتني في البيت ، وكان يغص بالنسوة ، وقيل لي إن أمي ماتت ، ولكن أمي ما لبثت أن خرجت علي وعلى شفتيها صباغ أحمر وقالت لي إن عمتي صائمة وفردوس حاضرتان . وهنا خلعت من عنقي قلادة ذهبية وقلت هذه لعمتي فردوس . ثم وجدتني جالساً إلى جانب خالتي العجوز أم مصطفى ، وكانت متوفاة أيضاً ، فسألتني عن مكان جزدانيها الصغيرين الأبيض والأزرق المصنوعين من حب الخرز فقلت لقد تصرفت فيهما في غيبتك فاستشاطت غضبا .

التأويـــل

الشرفة إشارة إلى النفس الناطقة ، ودل على هذا وجود أخت صديقي واسمها أميمة . وأميمة تصغير أم ، والأم النفس الكلية . فالمعنى يشير إلى وصول النفس الجزئية (أميمة) الى مرتبة النفس الكلية المتمثلة في الشرفة . وكون الفتاة من آل الحمصي يجمع بين مدلول اسمي النفس والقلب ، إذ قلنا إن حمص مدينة تتوسط البلاد ، وهي إشارة إلى الصدر محل القلب . والموقف الغزلي إشارة إلى الوصول إلى **مقام المحبين، والصحيفة التي فيها كلام غزل والتي مدت من كوة من الشرفة ترمز** إلى الوصول إلى مقام الرضا والذي وصفه سبحانه بقوله (رضي الله عنه ورضوا عنه)، **وقال (فسيأتي الله بقوم يحبهم ويحبونه)** . فالكوة مشكاة القلب ، والصحيفة محل الخبر وهو موضع حبي . والنفس هي القلب إذن وإن اختلفت الأسماء ، وإلى هذا أشارت الرؤيا بظهور صديقي مأمون (الذكر) الذي يرمز إلى القلب في الموضع الذي ظهرت فيه أخته الأنثى . ورؤيتي أخي يوسف في سيارته البيضاء وصول القلب إلى مقام تأويل الأحاديث ، وذلك بداية مرحلة كشف الصفات . فالسيارة البيضاء إشارة إلى النفس أيضاً ، وبياضها صفاؤها وتجردها من الجسم ، ولو كانت السيارة كبيرة لشملت النفس والجسم وقواهما .

وظهور ابن عمي الطبيب من وراء السور فالسور الحد الفاصل بين عالمي

الأرض والسماء ، والطبيب شاف ، ومصافحتي له دليل على أني سأشفى من المرض العضال الذي عانيته طوال حياتي وهو احتجاب أسرار الغيب عني .

وظهور أبي في يوم العيد الاحتفال بالوصول إلى هذا المقام ، وأبي النور الابراهيمي الجامع ، وهو محل إشعاع الأسماء الحسنى ، والأسماء الحسنى عيون الصفات ، وهي موجودة في اللوح المحفوظ أزلاً لا تقبل تغييراً ولا تبديلاً فهي بمثابة ناموس الوجود وقانونه . والقانون أصله واحد وفرعه كثير . وإلى هذا أشارت الرؤيا باعتراضي على أبي بأني أهوى الوحدة وهو يريد الاجتماع بالناس . وكان نقاشي له موضوعه لون السترة التي يرتديها . فجوهر النقاش ماهية الأسماء الحسنى فأصلها واحد (ميلي إلى الوحدة) ، وفرعها كثير (انطلاق أبي إلى الناس) ، وعيونها في حد ذاتها ثابتة (السترة السوداء لا يمكن أن تصبح حمراء) . والسترة من الستر وهي إشارة إلى الحجاب أو احتجاب الحق بالخلق ، كما هي لباس للصدر موضع القلب الكلي وهو عين الوجود .

وتوجهي إلى البيت توجهي إلى هذا القلب ، ولقائي بابن الجيران توفيق إشارة إلى العناية التي شملت السالك الذي صار عارفاً فجمع بين علمي الحقيقة والشريعة ، وأدرك أنه القطب ممثل الروح الفعال في الوجود وصوته الناطق . وإلى هذا أشارت الرؤيا بأن الروح الفعال يضع كل إنسان في مكانه وعبر عن ذلك بوجود الدرج .

ودخولي البيت وسماعي أن أمي قد توفيت فإشارة إلى فناء النفس الكلية في الروح الكلي ، وأشير إلى هذا بالموت ، ويقال عنه أيضاً إنه الموت الأوسط وفيه تتجاوز النفس الناطقة حدها فتبلغ كمالها . وأشارت الرؤيا إلى هذا بخروج أمي علي وعلى شفتيها صباغ أحمر واللون الأحمر إشارة إلى الروح . . فههنا ماتت النفس عن نفسها وقامت بالله ، ووصف سبحانه نبيه بالمصطفى في هذا المقام بقوله (وماينطق عن الهوى ، إن هو إلا وحي يوحى) . فلسان العارف لسان الله على الحقيقة . وإلى هذا أشارت الرؤيا بحضور عمتي صائمة وفردوس في المكان ، والجمع بين الاسمين يدل على الوصول إلى مقام رفع التكليف عن العارف الواصل ، فهو قد بلغ جنات نعيم العارفين حيث لا صيام هناك بل قيام دائم بالله . وعبر عن هذا بخلعي القلادة

الذهبية من عنقي ، وفي العنق الأمانة التي حملها الانسان فظنها له وهي لله عز وجل إذ الذهب معدنه سبحانه .

وفي مقام الانخلاع هذا يفقد العقل محله ودوره . فخالتي أم مصطفى كانت سمراء اللون ، وكنا أوّلنا هذا اللون بالعقل سابقاً ، وسؤالها عن الجزدانين الأبيض والأزرق المصنوعين من حب الخرز فيرمز إلى اعتماد العقل على المحسوسات أي الجزئيات (حب الخرز) للوصول إلى المعقولات أي الكليات التي مثلها الجزدان كله والذي يجمع فيه المال وهو العلم . وقولي إني تصرفت بالجزدانين في غيابها فإشارة إلى إدراك العارف حقيقة العقل والذي هو في قبضة الواحد القهار جبار الخواطر . وغضب خالتي إشارة إلى تمرد العقل الإنساني على هذه الحقيقة الماورائية المهولة التي يُرى الانسان فيها عدماً يسير بقدرة الله عز وجل ولا يمثل إلا صفاته وأفعاله وقواه ، ويرى بعين البصيرة أن الله نور السموات والأرض . وهذا ما مثلته الرؤيا بكون العالم ككل مصنوع من خرز أبيض إشارة إلى هذا النور الذري الذي مثله عالم الشهادة ومن خرز سماوي إشارة إلى عالم السماء الذي مثله عالم الغيب .

*

« رؤيـــا »

وجدتني على طريق المهاجرين وقد ظهر أبـي وزوجتـه ـ خالتـي ـ واسمهـا فاطمة ، وتناقشنا أنا وأبي حول موضوع إعارة مكواتنـا إلى جارنـا بالجنـب عبـد السلام ، فقلت إن استمرار إعارة المكواة سيؤدي إلى خرابها فرد أبي بأن ذلك أفضل من وقوع خلاف بيننا وبين الجيران . ثم رأيتني على درج ، وقد كلف أبي ابنتي جمانة بمسح الدرج صعوداً وهبوطاً فأزعجني ذلك . ثم سمعـت صراخ ولـدي إبـراهيم فاقتربت من الشباك لأجد إبني متدلياً من شرفة يكاد يهوي ، ثم هوى فمددت يدي بسرعة والتقطته ، وكان للموقف علي أثر عظيم جعلني انفجر باكياً .

ركوبي طريق المهاجرين وظهور أبي مع زوجته هو الوصول إلى مقام الروح ، إذ مرافقة زوجة أبي له تعبير عن مرافقة النفس (فاطمة) للروح . والحوار بيني وبين أبي حول إعارة المكواة لجارنا فهو الحوار الدائر بين العارف والروح الكلي حول موضوع الثواب والعقاب الديني الذي ينتهي عند حد بلوغ العارف مقام الروح حيث يثبت له كشفاً أن رحمة الله غلبت غضبه وأن مغفرته مسحت عقابه . والمكواة رمز إلى هذا الموضوع ، إذ تستعمل المكواة في كيّ الثياب وهي رمز إلى التطهير . ولقد قلت لأبي إن إعارتها إلى جارنا عبد السلام سيخربها ، والمعنى أن التسليم بهذه الفكرة سيهدم أساس الدين كله كما قال إبن تيمية في نقده الشيخ الأكبر ، كما أنه ليس من العدل أن يقع هذا ، ولكن أبي حسم الموضوع بقوله إن إعارته المكواة لجارنا عبد السلام ، والسلام اسم من اسماء الله ، يحسم مايمكن أن ينشأ بيننا وبين جيراننا من خلاف ، وهو الخلاف الدائر بين الفرق حول الارادة الالهية والارادة الانسانية ، وكيف يمكن التسليم بأن تغلب الارادة الانسانية الارادة الالهية في حال التسليم بوجود حرية للانسان تستوجب ثوابه أو عقابه .

وتكليف أبي ابنتي جمانة بمسح الدرج تكليف الروح الكلي النور الوجودي ببناء الوجود الظاهري وما ظهر عليه من خير وشر . فجمانة من الدر ولونه كالنور ، وتنظيف الدرج إزالة ما علق عليه من شوائب ، والمعنى يشير إلى أن أصل العالم الظاهري كله نور جامع جمع الخير (النظافة) والشر (القذارة) . ولقد رفضت أنا هذه الفكرة لكن أبي أصر عليها بسبب رد عالم الظواهر كله إلى عين جبروتية نورانية صدرت عنها جميع الموجودات . وفي هذا المقام يبلغ العارف مقام الفناء ، إذ لا أحد موجود بحق إلا النور . وهذا المقام مهول ، وعبر عن هوله في الرؤيا بسقوط إبني إبراهيم الصغير ، وهو تجسيد النور الجامع إبراهيم الكبير ، وقد تدلى من النافذة فأمسكت به ، والمعنى أنه يثبت للعارف كشفاً خلود بعض الأرواح ونجاتها من بحر العدم وبعثها في أجسام تارة بعد أخرى . ومرور العارف بهذه التجربة يفقده روعه ، وعبرت عن هذا ببكائي الشديد في الرؤيا إذ لو لم ألتقط ولدي وهو يقع

لشمل الفناء كل حي حتى المصطفين والمختارين ، وليس ماهو أشد هولاً بالنسبة للإنسان من العدم .

*

« رؤيـــا »

رأيتني أمام دكان لبيع القهوة في ساحة السبع بحرات ، ثم وجدتني في حديقة السبكي وأمامي صاحب الدكان وقد أصيب في مقدمة رأسه بجرح ، وجعل يصف لي كيف أن شخصاً لا يعرفه هاجمه وأصابه في رأسه بطلقة (فَرْد) أي مسدس ، فواسيته . . ثم قدم له صديق لي كنيته جنّان قطع نقود فضية ، ثم رأيت هرة بنية تطل من فوق سور الجنينة . ولقد أسندت الرجل المصاب إلى كتفي وخرجنا فلقيني رجل في الباب فحدثني عن أن نقودنا الفضية تضرب في باكستان لا عندنا وأن ما على النقود من رسوم لا علاقة لباكستان به .

التأويـــل

وجود بائع القهوة في ساحة السبع بحرات بلوغ العقل حده وتجاوزه إلى كماله ، إذ القهوة بنية متوسطة بين البياض والسواد ، والسبع بحرات انفجار عين البصيرة في الذات الانسانية عن العلم الالهي الذي هو كمال العقل . وانفجار هذه العين هو ما رمز إليه بإصابة بائع القهوة بعيار ناري في رأسه . فالرأس محل الدماغ ، والدماغ آلة التفكير ، وإصابة هذه المنطقة معناه زوال دور العقل بظهور المُلهِم الحقيقي الذي يوحي إلى العقل بكلام فينقله العقل إلى اللسان . وهل حال العقل إلا كحال الطفل الذي يقف أمام واجهة دكان خلفها دمى يستعرضها جميعاً ثم يختار منها ما يعجبه . فوراء عملية التفكير خواطر هي إشعاع عين الجبروت التي تخص الانسان المفرد بصفة هي المتحكمة في فعله . فما فكّرَ من فكّر ولكن فكر وفق

المحركات وتنظيف المصانع . وبينا نحن كذلك إذ مر بنا شقيق قريبي مطاع واسمه إكرام ، ثم التفت أخي إلى شجرة قريبة فرأى شاباً يعانق فتاة بشدة وقد وضع يده اليمنى على ردفها ويده اليسرى على ظهرها وقبلها بشدة مدخلاً ثغره في ثغرها .

التأويـــل

رؤيتي مطاع ووضعي يدي على عنقي وتحسسي قبة قميصي الصوفي الأحمر وقولي لنفسي أن لو أحسنت هندامي لرحب مطاع بي ، هذا كله إشارة إلى استشراف القلب (القميص) عالم الروح (اللون الأحمر) . وحواري مع نفسي يرمز إلى عدم وصول المسلمين المؤمنين إلى مقام المحسنين حيث يتنزل عليهم روح الله جبريل الأمين الذي تجلى في الرؤيا في صورة قريبي مطاع ، ومطاع وصفه في كتاب الله .

ولقائي أخي فؤاد تمكني من مقام القلب الجامع ، وقولي ان لو كان هذا الماء الوفير في بلد متمدن لرأيت كيف تبدو المدينةبزيناتها وحسنها فهذاإشارة إلى مقام الإحسان ذاته الذي رمز إليه بالمدينة الجميلة وفيه ينتظم كل شيء ، ويبدو كل ماهو قبيح في العين جميلاً لصدوره عن فعل الله عز وجل الذي رمز إليه بالماء . وقولي إن المصانع في أوروبا تقام فوق عين ماء ، وإن الماء يستخدم في تبريد المحركات وتنظيفها فالمصنع هو الانسان الجديد في بعثه الجديد وقيامه من بين موتى الجهل . ولذلك ذكر أن المصنع كائن في أوروبا المتمدنة . أما قيامه على عين الماء الذي يبرد المحركات وينظفها فإشارة إلى عين البصيرة التي تفجرت فقلبت النار برداً وسلاماً على إبراهيم فبردت المخاوف والظنون والشكوك ودخل العارف جنة نعيم الروح بعد أن نظفت ذاته من شوائب أدران العالم المادي المحجوب عن الله . وإلى هذا أشارت الرؤيا بمرور شقيق قريبي مطاع بنا واسمه إكرام . وإلى هذا المقام أشار سبحانه بقوله (ولقد كرمنا بني آدم وفضلناه على كثير ممن خلقنا تفضيلا) ، والتفضيل يكون باطلاع العارف على سر الغيب الذي ظهر في معانقة الشاب الذي هو العقل الفعال للفتاة التي هي النفس أو حواء أو العقل المنفعل قرب شجرة الكون . فمن هذا العناق تكوّن عالم الظواهر على الحقيقة . وفي مجال النفس الناطقة مسّ ثغر العقل الفعال

تأليف الأديب الروسي تورجنييف . وقالت إنها تريد الرواية طويلة لا قصيرة ، وأعطتني ليرتين فضيتين ثمناً لها .

التأويـــل

الكتاب إشارة إلى اسمه العليم . وروايات الهلال تصدر كل شهر ، ومن هنا سميت بالهلال الذي يطلع أول كل شهر قمري ثم يغيب . وتورجنييف نجم من نجوم الأدب ، والرواية الطويلة المختلفة عن القصص القصيرة تشير إلى طول القصة ودوامها أي عدم انقطاعها . وليلى من أسماء الله ويرمز إلى الحب فيصبح المعنى كله أن من حب الله لعباده أن مدّهم بغيث رحماني هو نجم من نجوم سمائه ، **لايغيب قمر ظهوره أي جسمه حتى يعود فيطلع هلالاً في الأفق الغربي من جديد ، والأفق الغربي إشارة الى البعث الجسدي إذ الغرب هو البدن والمادة .**

أما معنى دفع قطعتين فضيتين ثمناً للكتاب فهو كون النجم الهادي المغيث وريث النبوة ، هو نور من النور الأول . والفضة معدن ثان يلي معدن الذهب ةهو إشارة إلى الحق سبحانه . فالنجم وريث النبوة هو نور من مشكاة مصباح النور الأول .

*

« رؤيـــا »

رأيتني قرب سور حديقة السبكي فلمحت قريباً لي اسمه مطاع فأسرعت أتحسس ياقة قميصي الصوفي الأحمر وقلت لنفسي : لو كان هندامي أحسن لأحسن قريبي لقائي . ثم رأيت أخي فؤاد فوقفت أحدثه عن مياه غوطة دمشق الغزيرة ، وقلت ان لو كان هذا الماء في بلد متمدن لرأيت كيف ستبدو المدينة مزينة جميلة . وأضفت أن المصانع في أوروبا تقام على عيون الماء ليستفاد من الماء في تبريد

المحركات وتنظيف المصانع . وبينا نحن كذلك إذ مر بنا شقيق قريبي مطاع واسمه إكرام ، ثم التفت أخي إلى شجرة قريبة فرأى شاباً يعانق فتاة بشدة وقد وضع يده اليمنى على ردفها ويده اليسرى على ظهرها وقبلها بشدة مدخلاً ثغره في ثغرها .

التأويـــل

رؤيتي مطاع ووضعي يدي على عنقي وتحسسي قبة قميصي الصوفي الأحمر وقولي لنفسي أن لو أحسنت هندامي لرحب مطاع بي ، هذا كله إشارة إلى استشراف القلب (القميص) عالم الروح (اللون الأحمر) . وحواري مع نفسي يرمز إلى عدم وصول المسلمين المؤمنين إلى مقام المحسنين حيث يتنزل عليهم روح الله جبريل الأمين الذي تجلى في الرؤيا في صورة قريبي مطاع ، ومطاع وصفه في كتاب الله .

ولقائي أخي فؤاد تمكني من مقام القلب الجامع ، وقولي ان لو كان هذا الماء الوفير في بلد متمدن لرأيت كيف تبدو المدينةبزيناتها وحسنها فهذاإشارة إلى مقام الإحسان ذاته الذي رمز إليه بالمدينة الجميلة وفيه ينتظم كل شيء ، ويبدو كل ماهو قبيح في العين جميلاً لصدوره عن فعل الله عز وجل الذي رمز إليه بالماء . وقولي إن المصانع في أوروبا تقام فوق عين ماء ، وإن الماء يستخدم في تبريد المحركات وتنظيفها فالمصنع هو الانسان الجديد في بعثه الجديد وقيامه من بين موتى الجهل . ولذلك ذكر أن المصنع كائن في أوروبا المتمدنة . أما قيامه على عين الماء الذي يبرد المحركات وينظفها فإشارة إلى عين البصيرة التي تفجرت فقلبت النار برداً وسلاماً على إبراهيم فبردت المخاوف والظنون والشكوك ودخل العارف جنة نعيم الروح بعد أن نظفت ذاته من شوائب أدران العالم المادي المحجوب عن الله . وإلى هذا أشارت الرؤيا بمرور شقيق قريبي مطاع بنا واسمه إكرام . وإلى هذا المقام أشار سبحانه بقوله (ولقد كرمنا بني آدم وفضلناه على كثير ممن خلقنا تفضيلا) ، والتفضيل يكون باطلاع العارف على سر الغيب الذي ظهر في معانقة الشاب الذي هو العقل الفعال للفتاة التي هي النفس أو حواء أو العقل المنفعل قرب شجرة الكون . فمن هذا العناق تكوّن عالم الظواهر على الحقيقة . وفي مجال النفس الناطقة مسّ ثغر العقل الفعال

ثغر العقل المنفعل فنطق ابن آدم القلب . وفي مجال النفس الحيوانية مس العقل الفعال ردف العقل المنفعل فصدرت حركة وقوى النفس الحيوانية . ويشير وضع يد الشاب الأخرى على ظهر الفتاة إلى الظهور وهو ظهور عالم الظواهر المنفعل من فعل عالم الباطن الفعال .

*

« رؤيـــا »

رأيتني في ميدان أقيم فيه سرادق مزين بالأضواء يغص بناس دعوا إلى حفل فرح كبير . ثم رأيت قطاراً طويلاً جداً ركبت عليه مكبرات صوت يجتاز الميدان بسرعة متوجهاً إلى جسر وقفت تحرسه ثلة من الحرس أشداء ، وقد نمى إليهم أن الجسر سينسف . وفعلاً ما ان تقضت لحظات حتى سمع دوي هائل ثم نسف الجسر نسفاً وقتل ثلاثة من الحرس .

التأويـــل

حفل الفرح إشارة إلى حلول موعد ليلة القدر المباركة ، والقطار الطويل النفس الكلية الجامعة للنفوس الجزئية ، وهذه النفس هي النفس الناطقة في الانسان الذي كرمه الله بالنطق والعلم ، وأكد هذا وجود مكبرات الصوت المركبة على القطار . وإلى هذا أشار الشيخ الأكبر بأن الانسان يغدو في اقترابه من مقام النفس الكلية عقلاً مجرداً لا غير ، ويتم هذا بعد كشف سماه بالتحقق الحيواني وفيه يدرك السالك أنه ذات مجردة حاملها الجسم الحيواني .

واتجاه القطار إلى الجسر اتجاه إلى الحد الفاصل بين عالمي الغيب والشهادة . والحرس قوى لملكوت الحافظة لعالم الغيب الذي أخفي سره عن الخلق إلا من اصطفى الله واختاره . وهذا ما أكده أن الحراس نمى إليهم أن الجسر سينسف . وتفجر الجسر

وقوع الحدث الهائل الذي يتم فيه كشف الغطاء عن عين البصيرة فإذا السالك المسافر المجاهد المريد واصل عارف كاشف مطلع . ولما تم هذا قتل ثلاثة من الحراس وهم إشارة إلى النفس والقلب والروح الذين هم واحد في الحقيقة . فليس ثم بين الانسان والله من فاصل ، وليس ثمة إلا هو . وهذا مايراه الواصل العارف بعد هتك حجاب الغيب واطلاع الأسرار .

*

« رؤيـــا »

وجدتني قد انتقلت من غرفتي القبْلية في وزارة الاعلام إلى غرفة شمالية فأزعجني ذلك رغم أن طاولتي كانت في الصدر ، فلقد حرمت الشمس فأوحي إلي أن شريط الكهرباء قريب مني وأن في استطاعتي استعمال المدفأة الكهربائية . وكان يجلس قرب الباب زميلي حسن الأسمر اللون وقبالته زميلتي ليلى التي كانت متخاصمة معه ولم تفلح جهودي في مصالحتهما . وكانت ليلى تغسل فناجين قهوة بماء عكر وسط الغرفة .

التأويـــل

الانتقال من الغرفة القبلية المشمسة إلى الغرفة الشمالية المحجوبة عنها الشمس عودة إلى الخلق بعد شهود شمس الحق التي أشرقت في القلب الذي رمز إليه بالغرفة . فذلك الشهود ، وهو أحد مقامات الكشف والعروج ، ويدفىء القلب المقرور الفقير إلى الله . والعودة إلى الخلق غياب لتلك الشمس التي تحتجب بغمام الكثرة الوجودية وهو ما عبر عنه بالانتقال إلى الغرفة الشمالية . ويشعر العارف هنا بالوحشة بعد غياب شمس الحق فيوحى إليه أن الله قريب منه لأنه نوره وقواه وهذا ما

رمز إليه بالرؤيا بوجود شريط الكهرباء بالقرب مني استدفىء بالمدفأة الكهربائية عند الحاجة ، وتسمي المتصوفة هذه الحالة بالفرق الأكبر .

والخصام بين زميليّ حسن وليلى هو الخصام الذي يقع بين العقل والقلب المحب داخل الذات الانسانية . فزميلي حسن الأسمر رمز العقل للونه ، وليلى اسم المحبة الالهية ، ولقد وقع الخصام في الرؤيا بعد الانتقال إلى الغرفة الشمالية أي بعد شهود العقل نور الوجود الذي وحد الخير والشر تحت اسم المحبة والمغفرة فرفض العقل هذا التوحيد ورفض المساواة بين الخير والشر . وذلك كله أشير إليه في الرؤيا بشطف ليلى المحبة فناجين القهوة بماء عكر . فالقهوة آثار علم المعقولات ونتاج جهود العقل النظري ، ولقد غسلت ليلى المحبة هذه الآثار بماء عكر وهو ماء شمل النظافة والكدورة معاً .

وثمة إشارة أخرى ينبغي ذكرها وهي علم الله بكل ما يقع في الوجود أرضاً وسماء والذي لا يعزب عنه علم شيء . وإيضاح ذلك أن زميليّ حسن وليلى كانا متخاصمين حقاً ، وقد تخاصما في النهار الذي سبق الليلة التي شهدت فيها الرؤيا فههنا أشهدني الحق أنه شهد الخصام واستعماله رمزاً لتبليغ قوى ومضمون صوفي كشفي .

*

« رؤيـــا »

رأيتني في مدينة السويداء وقد ركبت سيارة صغيرة قاصداً القرية الكفْر القريبة . وفي الطريق رأيت المطر الذي وَبَل دهاقاً نهار أمس قد ترك الأرض فائضة بالماء فأوجست خيفة ، بيد أنني قلت لنفسي لابأس سأسافر وأعود قبل هبوط الظلام . وتحسست أصابعي دراهمي القليلة الموجودة في جيبي وكانت لا تتعدى القروش . ثم مررت بغابة عظيمة الأشجار حولها سور محكم . وفي الطريق قصصت على الركاب كيف أني ولدت بقرية الكفر وأن جدي كان معلماً فيها . وكان

الركاب دروزاً جميعاً فتحمسوا لقصتي وعرفوا جدي . وانبرى فتى فأعطاني مائة ليرة هبة فرفضت أخذها فأصر ، بل إنه أخرج حافظته وقدم لي ثلاث ورقات من فئة المائة ليرة أيضاً فاستعظمت الهبة ، ولكن السائق قال لي خذها فإن لدى الفتى الكثير . ثم جعل الركاب جميعاً يتبرعون لي بالدراهم حتى تجمع لدي مبلغ كان يكفيني لشراء الدراجة التي أزمعت شراءها وتسديد ديوني .

التأويـــل

مدينة السويداء من سويداء القلب ، والسيارة الصغيرة رحلة خاصة ، وجبل الدروز جبل التوحيد ، والمطر ماء العلم اللدني ، والغابة العظيمة الشجر الوصول إلى كشف الصفـات ، إذ الشجـر أصـل الثمار ، والبشر وبقية المخلوقـات ثمار . والدراهم القليلة الموجودة لدي رمز إلى السالك الذي أفرغ مافي جعبته من علـوم العقل والمنطق . ومعنى أني سأسافر وأعود قبل هبوط الظلام المرور بمقام الكشف الذاتي الالهي قبل أن تحتجب شمس الحق بسواد الخلق وعالم المحسوسات . وقولي للركاب إني ولدت بقرية الكفر فهـو المرور بمقـام السر القلبـي الـذي يكشف فيه للسالك السر الذي جعل الحلاج يعلن أن حقيقة الكفر والايمان واحدة ، ونضيف أن الخلاف بينهما واحد ، وأن لو شاء الله لآمن من في الأرض كلهم جميعا .

والركاب الدروز الموحـدون لصلـة الاسـم . وتحمسهـم لي موافقتهـم على رأيي . وتبرعهم لي هبوط ثمار علـم التـوحيد الذوقـي من أشجـار الصفـات ذات القطوف الدانية. والفتى الذي تبرع لي بالمال الكثير هو الروح . والمال الكثير الذي صار لديّ هو نتاج علم التوحيد الذي كان كفيلاً بشراء دراجة علوم الصفات ، إذ الدراجة تسير على عجلتين خفيفتين هما رمز شطري النفس الفجور والتقوى . ففي جعبة علم التوحيد مال كاف للإجابة عن جميع أسرار الكون والوجود ، وما أذعنا في كتابنا هذا إلا ما حُدَّ لنا ، وكذلك صرح الشيخ الأكبر في كتابه (فصوص الحكم) .

*

« رؤيـــا »

رأيتني مع أختي ليلى التي طلبت إلي الذهاب إلى المسرح فذهبت عاري الوسط والساقين إلا من خرقة سترت بها عورتي . والتقيت في طريقي بالفنان دريد لحام الذي أخبرني أن لي دوراً في المسرحية . ثم رأيت زميلاً لي اسمه ناصر كان جالساً أمام أزرار كهربائية يديرها . ولما وصلت المسرح وجدت الناس في استراحة وقد خرجوا إلى الردهة . وكان من بين النظارة رفيقاي زكريا وسليم . وقال لي سليم : عد إلى البيت وارتد سروالا . فعدت ولبست سروالاً أصفر ضيقاً ، ثم عدت مسرعا . وفي الطريق أخذني الضيق ، فأنا أجهل الدور الذي سألعبه على المسرح جهلاً كليا . وظهر لي شخص مجذوب هو قريب لعمتي بدرية فأراني كتاباً فيه نص المسرحية فجعلت أتصفح الكتاب باحثاً عن دوري فيه حتى وجدت أن علي أن أمثل دور شخص اسمه رابيت ، ودوره قصير ومحدود ، وهو سيدخل المسرح راكباً دراجة ، ثم ينتقد أوضاع النساء في الدولة ، وهو نقد موجه بصورة لا مباشرة إلى الحكام أنفسهم . وعبثاً حاولت حفظ الدور حتى تدخل صديقي سليم ثانية وقال إن هناك ملقناً على خشبة المسرح سيلقنني ما سأقوله كلمة كلمة .

التأويـــل

ليلى اسم المحبة الالهية ، والذهاب إلى المسرح عاري الوسط والساقين هو المرور بمرحلة التحقق الحيواني ، وأكد ذلك ظهور دريد لحام . ولحام بائع اللحم واللحم حيوان . والمرحلة عموماً كشف للعارف تطلعه على أسرار عالم الهيولى حيث يذوب الجزء في الكل ، ويفنى الناس ويبقى الانسان الواحد الذي هو مثال كل الناس .

ووصولي المسرح ورؤية المتفرجين في استراحة بعد انتهاء الفصل الأول من المسرحية فهو يشير إلى انتهاء مرحلة العقل والوصول إلى مقام القلب . وأشار إلى

هذا وجود صديقي زكريا رمز العقل في القرآن ، وورد الرمز على لسان النبي زكريا عليه السلام ، وصديقي سليم وهو القلب الذي صار مهيئاً لاستقبال الأنوار .

وعودتي وارتدائي سروالاً أصفر رمز إلى ستر كشف التحقق الحيواني الخاص بأهله لا غير . ورؤيتي زميلي ناصر إشارة إلى نصرة الله لعبده بإمداده بنور الهداية وأشير إلى ذلك بأزرار الكهرباء التي كان ناصر يديرها .

وانشغالي بمعرفة الدور الذي سأمثله فهو اهتمام السالك بمعرفة ماسيكاشف به وما سيطلب إليه تنفيذه تمهيداً للكشوف . وظهور الشخص المجذوب هو الانجذاب من قبل الحق وذلك من داخل الذات ، لأن المجذوب قريب عمتي بدرية ، وبدرية البدر وهو القمر ليلة التمام ، وهو رمز إلى بلوغ مقام الإحسان ، وبعدئذ يخُبر السالك من قبل الحق بحقيقة دوره .

والرؤيا أبانت أن علي أن أمثل دور شخص اسمه رابيت ، ورابيت الأرنب باللغة الانجليزية ، والأرنب إشارة إلى النفس لكونه لطيفاً أنيساً ، وتسميته بالانجليزية الاشارة إلى علم الرمز . وركوب الدراجة ركوب بحر علم الصفات ، وقد ركبه المسيح عليه السلام سيد هذا العلم بمشيه على الماء . فما ورد في الكتب السماوية من وصف لمعجزات لها ظهر وبطن فافهم الاشارة أعزك الله . وانتقاد أوضاع النساء رمز إلى الحجاب إذ المرأة حجاب . والمعنى يدل على ظهور سر التوحيد في كشف صفاتي ونتيجته خرق حجاب الوجود الظاهري وهو ما سمي من قبل الله سبحانه بالأسماء . ومتى تم ذلك يكن قد وُجه النقد إلى الحكام بصورة غير مباشرة . والحاكم في العالم الظاهري العقل ، والمعنى أن توحيد الصفات يرد ظواهر الأسماء المتناقضة إلى بواطنها ، وبواطنها ماهية واحدة هي الوجود المطلق أو الجوهر الفرد .

وخوفي ألا أحفظ دوري وقول صديقي سليم لي إن هناك ملقناً على خشبة المسرح سيلقنني دوري كلمة كلمة فهذا هو ظهور الوحي المسمى جبريل ، وهو صوت ذاتي عليم حكيم يلقن العارف أسرار العلوم الغيبية ويكشف له عن أحوال الناس فيبهتهم بعلمه وكشفه نواياهم وأسرارهم . وهذا الصوت هو الذي أملى القرآن على النبي ، وهو الذي أملى الفتوحات على أصحاب الفتوحات .

*

« رؤيـــا »

رأيتني في وزارة الإعلام والوقت ليل ومعي زميلي واسمه بطرس . وقد وفد علينا أناس لينالوا إذناً بتوزيع منشورات ..ثم وجدتني في محل لصنع أحذية خاصة بالأقدام المعوجة والمشوهة ..وكنت أنا صاحب المحل ، فجعلت امرأة مستخدمة تستشيرني باعتباري الاختصاصي الوحيد في تشخيص علة القدم والحذاء المناسب لها . ثم دخل علي زوج امرأة اسمها روز ، وقد وجدتني في الرؤيا أحبها ، ورحبت بالزوج وسألته عن زوجته التي لم أحب أحداً مثلها ، وظللت عازباً من أجلها . وسأل الرجل عن نظارة من نوع خاص فقلت إن هذا النوع من النظارات مفقود ولكن لدي واحدة قدمتها له فقبلها مع الامتنان الخالص . ثم ظهرت روز محجبة فاندفعت نحوها وأخذت بيدها الرقيقة وهواي يشع في حدقتي وقلبي شعاع ، واستيقظت والدموع تنهمر من عيني .

التأويـــل

المكان إشارة إلى تحصيل العلم الإلهي الباطني ، لأن الوقت كان ليلاً والليل حجاب وهو إشارة إلى الخلوة . ووجودي مع زميلي بطرس إشارة إلى المصطفين ، فبطرس من الحواريين ، وكان صديق المسيح المصطفى ، وهو الذي أخذ على عاتقه نشر الدعوة من بعده . ووفود الناس علينا رغبة الخواص والعوام في الغرف مما في أوعية الأقطاب . ووجودي في محل لصنع أحذية خصيصة للأقدام المشوهة فتأويله ذو وجهين ، الوجه الأول تحديد أمراض النفس وتشخيصها خصيصاً للسالكين الفقراء إلى الله المنقطعين إليه طلباً لكشف الغطاء عن سر التوحيد العظيم . . والوجه الثاني شمول الرحمة الرحمانية لكل خطيئة بشرية ، ولا ينكشف سر هذه الرحمة إلا للقطب العارف وحده ويكون هو الوحيد الذي يشخص داء القدم المشوهة والحذاء المناسب لها . وأما الداء فهو في النفس وهي العين وأما الحذاء فهو القالب وهو ظهور العمل أو العيان ، وبين العين والعيان يكمن سر نفوذ الإرادة الكونية في الملك والملكوت .

ويلي كشف الصفات هذا كشف الذات الذي عبر عنه بدخول زوج امرأة اسمها روز ، وروز كلمة فرنسية معناها وردة ، والوردة رمز الذات الالهية ذات البهاء والنضارة والاشراق ، ولذلك وجدتني أحب هذه المرأة في الرؤيا . والله تجلى بذاته في اسم حبّي في صورة امرأة جميلة ، ولهذا قالت المتصوفة ان مقام الحب الصوفي من أعلى مقامات الصوفية وهو أقرب حد إلى الذات الالهية . وأنشد الشبلي :

ذكرتك لا أني نسيتك لمحة ... وأيسر مافي الذكر ذكر اللسان
وكدت بلا وجد أموت من الهوى ... وهام على القلب بالخفقان
فلما أراني الوجد أنك حاضري ... شهدتك موجوداً بكل مكان
فخاطبت موجوداً بغير تكلم ... ولاحظت معلوماً بغير عيان

وظهور الزوج كناية عن الفاعل ، إذ الرجل فاعل والمرأة منفعلة عنه . وسؤاله عن نظارة من نوع خاص إشارة إلى مقام اليقين وهو خاص بصفوة الصفوة ولهذا قلت للرجل إن هذا النوع من النظارات مفقود ولكن عندي واحدة قد متها له . أما ظهور المرأة المحجبة فإشارة إلى ظهور الذات بالمظهر الامكاني وهو العالم ، فالعالم حجاب الذات الالهية وهي باطنه وجوهره وضياؤه وإشراقه والفاعلة فيه وديمومته وسناه . ولذلك أوردنا أبيات الشبلي في هذه المناسبة ، كما وصف الشيخ الأكبر هذا المقام أحسن وصف ، ومثله فعل دانتي العظيم في الكوميديا الإلهية ، وتلاه جبران الذي أشار في شعره ونثره ورسومه إلى هذه الوردة أو عين العيون التي لا يعدل جمالها جمال وسناها سناء .

*

« رؤيـــا »

وجدتني في قرية السجن على طريق السويداء فإذا أبنيتها السود قد تحولت إلى

أبنية حمراء جميلة أنيقة سلبت عقلي . وقال أحد الركاب لننزل ونتفرج على المتحف ، ولما وصلنا دخلت المتحف من بابه الأمامي وهو الباب الذي خصص ليخرج الناس منه بعد أن يدخلوا من الباب الخلفي . وما أن تجولت في المتحف حتى نادى مناد أيها الداخل إنك لسارق تحف ، فنظرت إلى يدي فما رأيت التحفتين بل وجدت راحتيّ ملونتين بلون الفخار الأحمر الذي كنت أحمله فقلت أأكون سارقاً وليس بيدي إلا آثار لون . ثم رأيتني مع جمع من الناس في حلقة نقيم حفل ذكر ، وكان القوم اسماعيليين ، فإذا حالة من الوجد تأخذني عن نفسي وإذا بي أتلاشى لأتحد بعين القمر والشمس اللذين كانا في السماء . ولما خرجنا شرع أمين المتحلف يحدثني عن عبقري روماني هو منشيء المتحف . وأشار إلى بناء قريب وقال : هنا كانت تقيم نساء العبقري الحسان وكان يلهو هناك . وهنا اعترضت قائلا : ياهذا ، إن في قولك لتناقضاً ، فمنشيء المتحف يجب أن يكون أفلاطونياً لأنه عن طريق الزهد الأفلاطوني يبلغ الانسان درجة الخلاص . . أما قولك إن للرجل نساء وكان يلهو هناك فهذا أقرب إلى أسلوب أرسطو ، وفي هذا تجن على الرجل . وإذ حاول الرجل أن يجادلني انفجرت فيه قائلا : أأنت أمين متحف ، لا ولا أنت أمين مستودع ، أنت حمار . . هل تعلم أني أريد أن أكتب رسالة دكتوراه عن الشخص المذكور خلال أسبوع فقط ؟ وتركت الرجل في حال من الذهول ، ومشيت شاعراً بأني مليك هذا المكان الرائع ، وكان من يلقاني في طريقي يفسح لي شاعراً بهيبتي حتى وصلت إلى رجل له شارب فقال إني أحلق أعلاه من حين إلى حين ولكنه يطول .

التأويل

بلوغ قرية السجن التي انقلبت أبنيتها السود إلى حمر جميلة أنيقة هو تعبير عن الخروج من فلك المادة الكثيف إلى أمداء الروح اللطيف ، وانكشاف الظاهر الحسي عن الباطن النوراني والباطن متحف أثري لأن فيه جماع العلوم والقوانين الأبدية الأزلية . ويحصّل العارف في هذا المقام أسرار العلوم الكونية والماورائية بزمن وجيز لا يمكن تصوره ، ولهذا دخلت المتحف من بابه الأمامي في حين كان على الناس أن

ينهوا جولتهم في تحصيل العلوم حيث كنت بدأت . فحد علم العارف أو بدؤه نهاية علوم العقل العادية .

واتهامي بالسرقة وأنا في المتحف اتهام المتصوفة بانهم جمعوا علومهم ممن سبقهم ، وجوابي أن ليس في راحتي إلا آثار اللون فهو جواب المتصوف بأن أسرار علوم الروح واحدة ولا بد لمستجلي تلك الأسرار من أن يظفر بنفس الدرر التي ظفر بها من سبقه في هذا المضمار ، وأن الحقيقة واحدة ولكن أثوابها ومظاهرها تختلف .

وحفلة الذكر واتحادي بالشمس والقمر ولقائي بالاسماعيليين فالاسماعيليون رمز للنبي اسماعيل عليه السلام وريث دين التوحيد عن أبيه ابراهيم ، والوراثة واحدة ، يتناقلها الابن عن أبيه عن جده دون حصر بشجرة العائلة والدم بل الوراثة **متفرعة من الشجرة الانسانية جمعاء، والله يصطفي من يشاء من عباده . والاتحاد** ذوبان النفس الجزئية في النفس الكلية المعبر عنها بالقمر ثم بالروح الكلي المعبر عنه بالشمس .

وحديث أمين المتحف عن منشىء المتحف وإشارته إلى حياة المنشىء الخاصة فهو رد على من حاول أن يشوه صفحة الأقطاب الصوفيين ورميهم بالخروج على النظام الاسلامي الذي هو دين وسط لم يحرم الاستمتاع بلذات الحياة الدنيا دون إفراط كما يقول أرسطو ، في حين أوغل المتصوفة في الزهد وقمع النفس وإدامة الصوم والصلوات النافلة . . والرد هو أن المتصوفة خواص الناس وليسوا بالعوام ، والاسلام كدين نزل للناس كافة خواصاً وعامة . ولقد قال سبحانه : (قالت الأعراب آمنا قل لم تؤمنوا بل قولوا أسلمنا ولما يدخل الايمان في قلوبكم) ، فالآية تشير إلى منزلتين هما الاسلام ثم الايمان . وحديث الرسول عن مقام الاحسان يشير إلى وجود منزلة ثالثة يعبد الانسان فيها ربه كأنه يراه . فثمة أحوال ومقامات في الاسلام . وقال عليه السلام : إن هذا الدين لشديد فأوغلوا فيه برفق . . فبينّ أن ثمة توغلاً ، أي طريقاً أي درجات لهذا الدين . فطريق أرسطو وارد ولكن للعوام ، وطريق أفلاطون ضروري للخواص للنفوذ من ملك الأرض إلى ملكوت السموات . ولهذا قلت لأمين المتحف إنه ليس أمين متحف ولا أمين مستودع أيضاً بل هو حمار فالطريق إلى الله طويلة ، والله نفسه فضل الذكر على الصلاة إذ قال : (ولذكر الله أكبر) . كما فضل العافين عن الناس درجة على غيرهم الذين أخذوا معنى

الآية (وجزاء سيئة سيئة مثلها) كما فضل المجاهدين على القاعدين . فالإسلام درجات والتوغل فيه برفق .

وخروجي من المتحف وعلي رداء العز والكبرياء فذلك هو مقام الملك والسلطان ، وهو لا يعطى إلا للعارف الذي خلع الله عليه رداءه فهو وكيله وحبيبه وممثله وظله ولسانه المتحدث بلغته وأسراره . ولذلك لقيت الرجل ذا الشارب ، والشارب رمز القوة والرجولة أو كما تقول المتصوفة (الفتوة) فقال إني أحلقه من أعلى ولكنه ينمو . والقول يترجم حال العارف المتحلي بالتواضع وخفضه جناحه للناس . فكلما اتضع العارف رفعه ربه أي زاده علماً أي قوّاه لما زاد شاربه نموا .

*

« رؤيـــا »

رأيت عبداً أسود ، عجوزاً ، يجر حماراً صغيراً أسود يمشي على خلفيتيه وقد بدا وكأنه عبد صغير وعليه عباءة بنية اللون . وكنت واقفاً مع أبي إبراهيم وأخي فؤاد . وجعل الرجل يرقّص الحمار وقد علمه فن الرقص . ولقد رقص الحمار الصغير ببراعة جعلت العرق يتصبب منه . ثم اختفى الحمار وظهر مكانه عدد من النسوة الزنجيات جعلن يرقصن رقصات إفريقية بدائية لكنها كانت أصولية ، ولقد أدركت أنا أصول هذه الرقصة لكن أبي وأخي جهلاها .

التأويـــل

الرؤيا تشير إلى النفس الحيوانية ذات الصلة بالجسم الحيواني . وهذه النفس أو الروح هي المسببة لحركة الجسم وهي مبعث نشاطه من جميع نواحيه النفسية والفيزيولوجية ماعدا الفكرية منها لأن الأخيرة متعلقة بالذات الناطقة التي خص الله بها الانسان فكرمه على باقي المخلوقات .

والعبد الأسود العجوز إشارة إلى الروح الحيواني الكلي ، وسواد العبد رمز إلى علاقة هذه الروح بسواد المحسوسات أي كثافتها . والحمار الصغير الأسود هو الروح الحيواني الجزئي أو الفردي ، وهو يمثل الجانب الحيواني من الانسان ،

ولذلك ظهر في الرؤيا أنه أشبه بعبد صغير يمشي على خلفيتيه . وكونه حماراً إشارة إلى اشتراك الانسان والحيوان في هذه الصفة الحيوانية التي كان منها تعريف الانسان بأنه حيوان ناطق .

والنطق أو الذات الناطقة أو الفكر رمز إليه بالعباءة البنية التي لبسها الحمار ، إذ اللون البني رمز العقل . ووقوفي مع أبي وأخي إشارة إلى أحد مقامات العروج الصوفي ، وهو مقام كشف سر القلب (فؤاد) وسر الذات (إبراهيم الروح) .

وتأويل تعليم الرجل للحمار واضح وهو الغريزة التي خطت للحيوان من الانسان والحيوان حياتهما الفيزيولوجية . والغريزة كاملة لأنها فطرة إلهية ، ولهذا رقص الحمار الصغير ببراعة . والعرق الذي تصبب منه بغزارة معناه أن الروح الحيواني نوع من بخار لطيف لا يمكن وجوده بذاته بل يخلق بخلق الجسم في الرحم ويفنى بفنائه . فالعرق خفيف شفاف يتبخر لكن الجسم منبعه ومصيره العدم .

واختفاء الحمار وظهور الزنجيات الراقصات هو ما رمز إليه في القرآن بخلق حواء من ضلع آدم . فآدم أبو البشر وهو القلب الكلي أو اللطيفة الإلهية . وخلق حواء من ضلعه صدور الروح الحيواني منه . فالمادة انبثقت من الروح الذرية . وإتقان الزنجية الرقص البدائي بشكل أصولي معناه أن الأصول إشارة إلى مصدر الحركة وهي الله تعالى . ومعنى إدراكي أنا هذا السر وجهل أبي وأخي له أن العارف بالله وحده هو الذي كوشف بأسرار العالمين الأرضي والسماوي وعلاقة واحدهما بالآخر . ومن دون علوق القلب بالجسم أي الروح في الجسم الحيواني فلا مجال لإدراك الروح أو القلب أسرار عالمي الظاهر والباطن اللذين ظهرا جميعاً في الانسان الكامل .

*

« رؤيـــا »

رأيتني مع ابني ابراهيم ذاهبين إلى سينما السفراء ، وكان فيها فيلم اسمه بوابة

الجحيم . ولما اقتربنا من السينما وجدناها محروسة بقوة من الشرطة أرادت منعنا من الدخول ، ولما حاولنا اختراق الصفوف خرج إلينا كلب ضخم جعل يتهجم علينا فجعلت أغرف من الأرض طيناً وأسد خياشيمه به . ولما تغلبت على الكلب وجدتني أمام شباك التذاكر حيث كان صف طويل ، وقلت لقاطع التذاكر أريد تذكرتين هوية لي ولابني فنظر الرجل إلي ثم إلى ولدي وقال : لك تذكرة هوية واحدة فقط . ثم أعطيته النقود ، وكانت قطع نحاسية من فئة العشرة قروش . ولما دخلنا السينما وجدنا معظم المقاعد فارغة إذ كانت الحفلة صباحاً وفي يوم الجمعة . وكان الجالسون يدخنون ، والدخان يملأ الصالة ، فنظرت إلى تذكرتي فإذا مكتوب عليها حرف عين إشارة إلى رقم الصف الذي يقع فيه مقعدي .

التأويل

وجودي مع ولدي إبراهيم وجود إضافة ويعني الروح ، إذ ابراهيم إشارة إلى الروح لأنه خليل الرحمن والرحمن تخلله . والسينما خيال وصورة فهي مقام الرؤيا ، وتوصلنا إلى هذا **التأويل** الجديد للسينما بعد أن وجدتني في رؤيا أخرى أحمل جهاز تلفزيون وأدخل السينما ، والتلفزيون كلمة فرنسية وتعني الرؤية الناطقة وهي بوابة علم الكشف .

وقوة الشرطة التي وقفت تحرس السينما كنا نؤولها بقوى الملكوت التي تحرس الغيب وأوردنا آيات من القرآن تؤيد ذلك ، وإذ بنا في هذه الرؤيا نجد الكلب الذي هو إشارة إلى القوى الغضبية وهي من قوى النفس ، وأكدت الرؤيا هذا التعبير بسدي خيشوم الكلب أي مكان انطلاق نفسه بالطين ، والنَفس لطيف وهو رمز النفْس . فالمعنى الجامع هنا أن لا سبيل إلى مقام الكشف إلا بكسر طوق قوى النفس الغضبية كالأنانية والتكبر والحرص والغضب وحب الجاه والرياسة ، ورمز إلى كسر هذه القوى بالطين الذي هو مزيج من تراب وماء .

والتراب طهور ، وامتدحه النبي وكنى علياً كرم الله وجهه بأبي تراب ، والماء مطفىء للنار ، والنبي أوصى من يأخذه الغضب بأن يتوضأ ليذهب عنه الغضب .

فالرؤيا أفادتنا في الوصول إلى تأويلين جديدين ما كنا لنعلمهما لولا لطف الله بنا ، وليس معنى هذا أن ما أوردناه من تأويل للسينما وقوى الشرطة والجنود من قبل كان غلطاً ، لأن كلمات الله لا تحصى ، وبعض كلماته علم التأويل العظيم . قال سبحانه : (قل لو كان البحر مداداً لكلمات ربي لنفد البحر قبل أن تنفد كلمات ربي ولو جئنا بمثله مددا) ، وقال : (ولو أن مافي الأرض من شجرة أقلام والبحر يمده من ورائه سبعة أبحر ما نفدت كلمات الله) .

وشباك التذاكرة الذات الإلهية وهي جامعة لأن أمامها وقف صف طويل من الناس . والنقاش حول تذكرتين من نوع هوية فجوهره الهوية الالهية ذات النسب والاضافات واحتوائها الصفات . وفصل الشيخ الأكبر بين الهوية الذاتية التي لا تقبل تكثراً وبين الهوية الالهية المقابلة للتكثر . وإصرار قاطع التذاكر على قطع تذكرة هوية واحدة إشارة إلى باطن الخلق وهو هوية إلهية واحدة محضة . وقال الشيخ الأكبر في ذلك : لطيفة الانسان واحدة العين ، أي واحدة الهوية . ودخولي السينما وعثوري على معظم المقاعد خالية فهذا هو فناء الخلق في صور الحق . ولما كان دخولي قبل الظهر فالاشارة إلى الأصل وهو وقت ظهور شمس الحق من وقت طلوع هذه الشمس إلى دلوكها . ولا أثر لظل الخلق وقت استواء هذه الشمس في كبد السماء . وقال الشيخ الأكبر إن هذا هو معنى الاستواء على الحقيقة . ولذلك جاء في الرؤيا أن معظم المقاعد كانت فارغة . والدليل على أن مقام الرؤيا من المعارج وجود سحب الدخان المنتشر في الصالة كما قال تعالى : (ثم استوى إلى السماء وهي دخان) ، فنحن هنا في مقام علوي استوائي رأيت فيه حرف العين مكتوباً على تذكرتي إشارة إلى مقعدي . والمقعد الكرسي والكرسي عين الوجود . فالمعنى انبثاق العين الالهية المحمدية عن الذات الأحدية ، ومن هذه العين انشقت بقية المقاعد أو الأنوار أو الأسماء ، ولله الأسماء الحسنى فادعوه بها .

*

« رؤيـــا »

رأيتني أمام باستين الغوطة وقد انحسرت الخضرة عنها وأقيمت في البساتين

أبنية . وكان الناس يتطاولون في البنيات لينافسوا قصراً منيفاً بني من الحجر الأبيض ذا زخارف وحديقة غناء . وقلت في نفسي : كيف ينافسونه وهو العبقري الأصيل ؟ ثم ظهر صاحب القصر فإذا هو مخترع سيارات صغيرة ، شهير ، جعلت أتأمل ملامحه ، ثم ظهر رجل آخر قيل لي إنه ابن المخترع العظيم صاحب القصر وكان مخترعاً مثله ، لوجهه نفس القسمات ، وله عين نبوغ أبيه . وأوحي إلي أن هكذا يحفظ الله الأسرار في الانساب بحفظه الصفات .

التأويل

التنافس بين الناس الذي يتطاولون في البنيان آتين على بساتين الغوطةوبين صاحب القصر هو التنافس بين علماء العلم الكسبي والأئمة أعلام العلم الوهبي ، ومجال التنافس علم الحقيقة الذي أشير إليه بالغوطة وخضرة بساتينها الغناء . فإمام العلم الوهبي ، صاحب وقته ، هو نجم لا يضاهى اعترف الناس بذلك أم أنكروا . وماهاجم أصحاب العلم الكسبي أئمة العلم الوهبي إلا حسداً من عند أنفسهم وغيرة منهم لأنهم سعوا وجدوا واجتهدوا في طلب العلم فما استطاعوا أن يجاروا أعلام الحقيقة كحجة الإسلام والشيخ الأكبر والجنيد .

وصاحب القصر مخترع سيارات صغيرة ، والسيارة الصغيرة إشارة إلى الخواص إذ ركابها قليل ، فهو إمام الأئمة . ثم إن الرؤيا تشير إلى الخلافة ، فللإمام ابن يشابهه في الخَلْق والخُلق والعلم والمقدرة . والمطابقة بين الصفات الجسدية والصفات النفسية واردة في الاسلام فالنبي عليه السلام قال ابتغوا الخير عند حسان الوجوه . وللشيخ الأكبر وصف دقيق في كتابه الفتوحات تحدث فيه عن كل عضو في جسم الانسان وفصّل تفصيلاً كل قسمة من قسمات الوجه ومعنى كون الانسان أعين أو أزرق العينين أو أسيل الوجه أو سائل الأكتاف أو خفيف لحم الورك والصلب أو شديد سواد الشعر أو شديد بياض الوجه أو غائر العينين أو جاحظهما . . وكذلك أفاض في الحديث عن أنواع المشي والقعود والصوت والحركة وماشابه . فالشيخ جعل صورة الجسم صورة الروح . والشافعي رحمه الله كان مؤمناً بهذا العلم لدرجة

أنه لما علم من خادمه أنه اشترى طيباً من بائع أزرق العينين تشاءم وغضب وأمر خادمه برد الطيب إلى البائع ، فشدة زرقة العينين تدل على طبع خسيس ، بهذا آمن الشافعي .

والرؤيا تحدثت عن الصفات الجسمية والنفسية وانتقالها من الأب إلى الابن . واتصال نسب النبي بإبراهيم عليهما السلام شهير وذلك عن طريق انتهاء نسب النبي إلى اسماعيل إبن ابراهيم .

والرؤيا تشير إلى استمرار الولاية في الخلق عن طريق انتقالها من الأب (الروحي) إلى الولد . ثم إن الاشارة إلى كون الأب مخترعاً أيضاً وعبقرياً في تصميم السيارات الصغيرة بالذات هذه الاشارة تفسر قيام العلم الوهبي على أسس واحدة متشابهة منذ أن ظهرت تباشير هذا العلم منذ عهد إبراهيم . فالتصوف واحد ومبادئه واحدة . ولقد تعرضنا في بدء مرحلة الكشف لهزات من رياح عاصفة عند محاولة تقبل مبادىء التصوف لكن الله ثبت أقدامنا على هذا الصراط الرفيع العالي من العلم مؤكداً أن كل ماقاله أئمة العلم صحيح ، كذلك جاء كتابنا (النصوص) وثيقة خطية لوحي إلهي أملى علينا ماجاء فيه كلمة كلمة ، وكان ماجاء فيه هو قوام علم التصوف الذي هو لب علم التوحيد وغايته .

*

« رؤيـــا »

رأيت قريبة لي سمراء اللون جداً ، أشفقت عليها لأنها كانت مريضة فحملتها إلى غرفة ذات أسرّة ، فأرقدتها على سرير وهي تقول لي : جفف لي عرقي يابني فأنا أعرق كثيرا . وجعلت أجفف لها عرقها بينما كان ولداي جمانة وإبراهيم يشتجران خارج الغرفة فخشيت أن يدخلا ويزعجا المريضة . ثم أحضرت ابنة لقريبتي شاياً ساخناً لها شربت منه قليلا . وأخيراً ظهرت أمامي قريبة أخرى اسمها نجلاء فنظرت إلى المريضة وشهقت وقالت : لقد بالت وانتهى الأمر. أخرج أنت

ودع الأمر لي . ونظرت إلى المريضة في حزن ورأيت كيف سال بولها من تحت السرير فتركتها وخرجت .

التأويـــل

القريبة السمراء اللون رمز العقل العـادي لا الصـوفي أي الفـكر والدلالـة السمرة . ومرضها حيرة العقل في تفكيره في أسرار هذا الكون ومنها سر الموت وسر القدر وسر الخير والشر وماشابه . وحملي قريبتي تولي النور المحمـدي ـ إذ اسمـي محمد ـ العقل في مرحلة الكشف الصوفي،والغرفة القلب،والسرير البدن،والكشف هنا قلبي ينكشف للسالك فيه حقيقة العقل المتقلب ، إذ القلـب من التقلـب ويقـال للعقل ـ الفكـر هنا قلبا . وكنا أولنا العرق بالنفس الحيوانية أو الـروح الحيوانـي المخلوق مع الجسم ، وقد عرف الغزالي هذا الروح بأنه بخار لطيف مقره الجوف الأعلى من القلب . وهكذا نجد أن تعاريف الصوفية كلها مستندة إلى أساس ذوقي كشفي يقيني لا تناقض فيه وإنما حصل التناقض من قبل الذين أرادوا أن يلبسوا على الناس كشوف الصوفيين . وتقلب العقل ـ الفكر بيد الله كما نص بذلك الحديث الشريف : القلب بين إصبعين من أصابع الرحمن يقلبه كيف يشاء . وأكدته الرؤيا بشجار جمانة وإبراهيم أي النور الابراهيمي ـ المحمدي الفعال ، والشجار ظهـور صفات الله الموزعة بين الجمال والجلال . فالله وراء تقلب الفكر .

ونجلاء العين، وهي هنا الله باعتبار العين الذات . وقول قريبتي إن المريضة بالت إشارة إلى فساد الفكر وانحلاله عند الموت . فالنفس الجزئية مرتبطة بالروح الحيواني الذي يموت بموت البدن . وهذه الحقيقة تبكي العارف حين يرى معظـم الناس موتى فانين ، وعقولهم فانية ، إلا من رحم ربه فأدرجه في الخالدين .

*

« رؤيـــا »

رأيتني في غرفة استقبال وحولي نسوة عجائز محجبات يتحدثن عن خطبة ابنتي جمانة إلى ولد لهن ، فتعجبت والتفت أسأل زوجتي عن حقيقة الأمر فقالت إن الخبر صحيح ، فثار غضبي وجعلت أجادلها قائلاً : ألم تخطب ابنتنا إلى الشاب خالد ، وكيف رضيت بفسخ هذه الخطبة فأجابت : نصيب ، وهذا ماحدث . فلم أقتنع وازداد هيجاني حتى جعلت أصفعها مرددا : هذا لا يصح ، هذا لا يجوز . ثم تركتها وعدوت شاعراً بقوة عظيمة تدب في يمناي .

التأويـــل

الغرفة القلب والنسوة المحجبات العجائز انكشاف حقيقة الأسماء الحسنى القديمة قدم الله تعالى خالقها ، ولهذا وصفت في الرؤيا بأنها عجوز. أما حجابها فإشارة إلى أن الأسماء حجاب الله تعالى ووجهه الظاهر .

وجمانة الدر أو الحقيقة فهي الله باعتباره الاسم الأعظم أو الاسم الجامع للأسماء . وقد وقع الخلاف لما أصررت على أن هذه الحقيقة أو الهوية خالدة . وذكرت زوجتي بخطبة جمانة إلى الشاب خالد ، ولكن زوجتي قالت إن خبر خطبة جمانة إلى ابن النسوة المحجبات صحيح فجعلت ألطمها. فالرؤيا تكشف عن أن الذات الالهية لا انفصام لها عن الأسماء الحاجبة لها . وقال الشيخ الأكبر إن رؤية الذات الالهية من غير حجاب الأسماء مستحيل . وقال الامام العفيف التلمساني : قُدس سرّه منعتها الصفات والأسماء أن ترى دون برقع أسماء . وقال الشيخ محمد بهاء الدين البيطار : الذات يستحيل أن تظهر إلا بحجب الأسماء والصفات .

وقد أكدت الرؤيا هذه الحقيقة ، فإنه على الرغم من أن جمانة مخطوبة إلى خالد ، أي خالدة ، فإنها مخطوبة أيضاً إلى ابن النسوة العجائز أي الصفات أو

الأسماء . وقد رفضت أنا هذه الحقيقة وجعلت أصفع وجه زوجتي ، أي ماظهر من زوجتي للعيان ، أي لم أكتف بالاسم الظاهر لله ، لأني أردت رؤية الله عارياً من الصفات فتعذر هذا . ولما سئل عليه السلام : هل ترى ربك ؟ قال : نور إني أراه . . أي أن الله نور . ولما كان عالم الظواهر رداء النور كان لابد من ارتباط ظهور النور بهذا العالم والعكس صحيح .

ودبيب القوة في يمناه تأكدي من هذه الحقائق الغيبية بالكشف اليميني ، أي باليد النورانية التي تؤيد العارف بالكشوف .

« رؤيـــا »

رأيتني في اللاذقية ، قدمت بيت أخي الذي يسكن هناك ويقع على ربوة تطل على البحر ، وأنا أحمل عناقيد من العنب الحلواني . ثم وجدتني مضطجعاً في البيت نائماً ، وأمامي زوجتي تحاور جاراً لنا حداداً جاء يطلب يد ابنتي جمانة لابنه . وأخذت زوجتي تهاجم أصحاب الأموال قائلة إن غبار حذاء الفقير يشرّف رأس أكبر غني . وقال الحداد إن ابنه واقع في هوى ابنتي ، وإنه صدم بحادث سيارة بسببها . وهنا أردت أن أجلس فلم أتمكن إلا بعد أن مد الحداد يده إلي ، فلما جلست قلت إن ابنتي مخطوبة إلى شاب اسمه خالد وهو من أهالي اللاذقية وقد وافقنا على الخطبة وانتهى الأمر ولا مجال للنكوص . وهنا ظهرت قطة بدينة مدورة الوجه تسوق أمامها قطيطات صغيرة . وأرادت القطة أن تطرح فوق صغارها غطاء صوفياً فهربت القطط من تحت الغطاء وقد هزلت ، ثم انقلبت القطة إلى ابنتي جمانة .

التأويـــل

تجمع الصوفية بين الأفلاطونية والأرسطية في نظرتها الى الأرواح .

فالأفلاطونية تقول إن الأرواح خلقت قبل الأجساد وإنها حشرت في الجسد لتتطهر ثم تعود إلى عالمها الأعلى . . أما أرسطو فيقول إن الأرواح أو النفوس الجزئية تخلق مع الجسم وتفنى بفنائه مع بقاء الروح الكلي أو العقل الفعال الأول أو الله خالدا .

والصوفية فرقوا بين الأرواح . فأرواح من فريق الملأ الأعلى أو الصف الأول ، وهذه الأرواح مكرمة خلقت بالفعل قبل الأجساد وحشرت فيها وهي ستتركها عند الموت لتعود إلى عالمها الأول . وأرواح من صنف ثان ، أقرب إلى روح الحيوانات ، تخلق مع خلق الجسم وتفنى بفنائه ، ومعظم أرواح العوام من هذا النوع الفاني الأرسطي .

وقد عرض الفارابي نظريته الفلسفية في هذا الموضوع عرضاً مفصلاً في كتابه آراء أهل المدينة الفاضلة .

والرؤيا تؤكد كشفاً هذه العقيدة الصوفية . فإقبالي وأنا في اللاذقية على البحر من ربوة فيها بيت أخي هو الاقبال على بداية مرحلة الكشف الذاتي الذي رمز إليه بالبحر ، وهو وحي رمز إليه بحملي العنب الحلواني أي الحلو أي الجميل . ووجودي مضطجعاً في بيت أخي ونقاش زوجتي مع جاري الحداد الموسر فهو كشف للانسان العادي الذي هو بمثابة النائم بالنسبة إلى الصوفية الكاشفين والحداد رمز العالم الحسي ، إذ الحداد صانع الحديد ، والحديد مادة قوية ترمز إلى قيام العالم بها . فالحداد رمز الروح الحيواني الذي قوامه وميدانه العالم الحسي المادي . ومهاجمة زوجتي الأغنياء ودفاعها عن الفقراء إشارة إلى النفس في مرحلة السلوك ، وهي مرحلة افتقار إلى الله حيث تتخلى النفس عن كل ما لديها من إمكانات مادية لتسلم أمرها إلى الله وتجتاز مقامات التوكل والرضا والفناء .

وخطبة الحداد ابنتي جمانة على ولده فهي تجسيد للنظرية الأرسطية في أن الروح الممثلة باسم جمانة تابع للعالم الحسي الممثل في الحداد كما قلنا . ولكن جمانة هنا ليست روحاً عادية . فهي درنادر أي روح نادر أي روح من الملأ الأعلى ، أو هي كلمة من كلمات الله كالمسيح مثلاً خالدة ، وهي من مقامات النفس الكلية أو الروح الكلي . وقد رمز إلى ذلك بظهور قطة كبيرة تسوق قططاً صغيرة . والقطة الأم أي النفس الكلية ، والقطط الصغيرة النفوس الجزئية ، والغطاء الصوفي إشارة إلى مقام

التصوف وفيه يكشف الغطاء فيفصل بين الأرواح ، فمن كان من مقام النفس الكلية ، مرآته بسعة مرآتها ، وفيه تظهر كل إمكاناتها وأسمائها ، فذلك يندرج في الغطاء . أما من كان دون ذلك فهو يفر من تحت الغطاء وقد هزل وضعف ، وهنا إشارة إلى النفوس الجزئية التابعة للعالم الحسي تفنى بفناء الجسم ، وأشير إلى ذلك بالهزال والضعف . وأيد هذا التأويل انقلاب القطة الأم إلى ابنتي جمانة وقد أعلنت أنها مخطوبة إلى خالد أي إلى الخلود لا الفناء .

فالرؤيا أثبتت ذوقاً عقيدة المتصوفة في الأرواح المتذبذبة بين أفلاطون وأرسطو . وقد سبق أن بسطنا هذه العقيدة في شروحات سابقة ، ولكن هذه الرؤيا أكدتها كشفا . وهذه العقيدة هي التي حيرت شارحي الصوفية الذين لم يتمكنوا من تحديد معالمها والوصول إلى جوهرها . ولذلك أصر الحداد في الرؤيا على أن يفوز بابنتي زوجاً لابنه . أي أن بعض الشارحين أصروا على القول بأن الصوفيين أرسطيون في نظرتهم إلى الأرواح في حين تشبثت بقراري وهو تزويج ابنتي من خالد ، أي في حكمي على الأرواح التي هي من الملأ الأعلى في أنها فوق الفناء وفي دار الخلود .

*

« رؤيـــا »

رأيتني في حي المهاجرين أصعد الجادات العليا وقد بدت صعبة السلوك شديدة الانحدار . وقد مر بي ضباط من القوات البحرية يلبسون بذلات بيض . ثم وصلت متنزهاً جميلاً خضراً فيه نوافير مياه ومطعم فيه أكوام من الجبن الأبيض المتبل بالبقدونس . . ووجدت قططاً صغيرة كثيرة ترضع من أمهاتها . ثم رأيت أختي نجلاء ومعها ابنتها سوسن ، وإذا قطة صغيرة بنية الشعر تلمست بطنها الناعم . وبدأت القطة تغني وتتحدث بصوت خفيض . ثم انقلبت القطعة إلى طفلة جميلة جعلة تلاطف سوسن وتبدي ضروباً من التودد مما حداني على القول أن لو كانت هذه الطفلة أختاً لسوسن . ورغم أن الطفلة أبدت تلك الضروب من اللطف والأنس إلا

أن أختي أصرت على القول إن هذه الطفلة ليست حقيقية فأصلها قطة ، ثم ركلت القطة بقدمها فتدحرجت واختفت .

التأويـــل

موضوع الرؤيا العلاقة بين العين والعيان . وفصل الخطاب في هذه العلاقة يكون لدى بلوغ مقام الكشف . ووجودي في حي المهاجرين إشارة إلى هجرتي إلى الله . وصعودي الجادات العليا الصعبة السلوك معاناة السالك في مراحل الصبر والشكر والتوكل والرضا وماشابه . فهي مزالق خطرة لغير السالكين الحقيقيين ، وكم من ناس قضوا عمرهم في درجة من درجات المقام الواحد فلم يطيقوه ولم يجاوزوه . ومرور الضباط البحريين ببذلاتهم البيض إشارة إلى النجاح في هذه المقامات إذ الضابط صاحب مرتبة ورتبة .

والمتنزه بلوغ المرام ، وخضرته هي عين اليقين والراحة بعد التعب . والمياه مياه عيون زمزم والكافور وأنهار اللبن والخمر والعسل ، فهي عيون العلم الالهي . وإلى هذا أشير بوجود المطعم وفيه الجبن الأبيض الذي هو خلاصة اللبن الذي أوله رسول الله ﷺ بالعلم . والقطط الصغيرة النفوس الجزئية وصلتها بأمهاتها الكليات .

وأختي نجلاء إشارة إلى العين التي هي الأم الكبرى أو الاسم الجامع الذي هو الله ، إذ اسم نجلاء صفة العين الواسعة ، وابنتها سوسن الوردة أو الذات المحمدية الجامعة ذات الجهات . والقطة الصغيرة البنية النفس الكلية المنبثقة عن النور المحمدي . وأشير إلى كونها نفساً بتحسسي بطن القطة ، والبطن الباطن ، وباطن الشيء نفسه .

والحركات التي صدرت عن القطة هي حركة عالم الظاهرات والمخلوقات . تودودها وملاطفتها لابنة أختي وانقلابها الى طفلة محاولة من قبل عالم الكثرة للقيام مقام عالم الوحدة وهذا مستحيل حتماً لعدم استبدال الممكن الموجود بالواجب الوجود . ولهذا تمنيت أن تكون الطفلة أختاً لسوسن ، ولكن نجلاء العين الكلية

أعلنت أن هذا مستحيل لأن الطفلة ليست حقيقية فأصلها قطة ، والقطة نفس ، والنفس باطن ، والباطن يقوم بواجب الوجود لا بنفسه . فواجب الوجود هو الموجود الحقيقي ، أما عالم الظاهرات فعالم أشباح . ولهذا ركلت أختي الطفلة بقدمها ، والقدم إشارة إلى الرسوخ أو التمكن ، والمتمكن في الوجود هو العين الكلية ، والشبح هو عالم الظواهر أو الأشباح .

*

« رؤيا »

رأيتني على ضفة بردى الذي كان سريع التيار ، وكان ثمة فتيان يسبحون مقاومين التيار الجارف فقلت لنفسي من أدراني أنني إن سبحت ههنا جرفني التيار وغرقت . ثم قال لي فتى إن ثمة مسبحاً مغطى فاذهب إليه . ولما جئت المسبح وجدت فيه خلقاً كثيراً فخلعت ملابسي وهممت بلبس لباس السباحة فلم أجده فقررت السباحة بسروالي الداخلي ، ولما جئت الحوض وجدت مدربة سباحة فرجوتها أن تعلمني فقالت : ولكنك تجيد السباحة على ما أعلم . فقلت : أريد أن أتعلم أصول السباحة ومنها الغوص العمودي بشكل صحيح . وجعلت المدربة تعلمني وأنا أسبح معها ملامساً صدرها العاري ، ثم وصلنا إلى مكان فيه أولاد صغار كثيرون . وكان ثمّ شباك كبير علق في أطرافه أسماء الأولاد على بطاقات صغيرة مربوطة بأوراق بيض ، وكان هناك رجل يبحث بين البطاقات عن اسم معين فلما تعذر عليه ذلك مزق البطاقات جميعاً وأبقى الأوراق البيض . وعدت مع مدربتي سابحاً ببراعة وقد هبط الليل وساد الظلام .

التأويل

النهر السريع التيار علوم الطبيعة والفلسفة والمنطق . والفتيان الذين يسبحون

فتوة علم الطبيعة أي علمائها . فلقد ورد في قصة موسى في القرآن أنه لما طلب من فتاه أن يأتيه بطعام الغداء رد الفتى بأنه نسي الحوت عند الصخرة ، ثم ورد أن الحوت اتخذ سبيله في البحر سربا . وتأويل الحوت البدن ، والبحر الماء الذي خلقت منه الحياة ، والفتى القوة . فموسى استدعى قواه من حواسه الخارجية والداخلية ناشداً الحقيقة من عالم الحس ولكن فتاه أعلن أن الحوت ، أي البدن ، أي عالم الحواس ، أنسي عند الصخرة وهي صخرة اليقين التي يكشف فيها الغطاء عن عالم ماوراء المادة .

وقول الفتى لي إن ثم حمام سباحة مغطى هو بشرى قدوم ليلة القدر ، فإن الحمام المغطى كناية عن العلم المغطى الذي هو علم الباطن والسريرة . ولقائي بالخلق الكثير في الحمام إشارة إلى طالبي هذا العلم وهم كثر . وخلعي ملابسي تجردي عن خيلاء المؤمنين بأنهم من أصحاب اليمين وأنهم مصلون صائمون حاجون ذاكرون قائمون الليل محسنون صابرون . فالقربى إلى الله لا يكون إلا بالذلة وخلع الأدعياء والتخلق بالصفات . ولقد قال عليه السلام لأشج عبد القيس : إن فيك لخلتين يحبهما الله : الحلم والإناءة . فقال أخلقين تخلقت بهما ام خلقين جبلت عليهما بل خلقين جبلت عليهما ، فقال: الحمدلله الذي جبلني على خلقين يحبهما .

واحتفاظي بسروالي الداخلي ستري للنفس الحيوانية والتحقق بمقامها. ومدربة السباحة النفس الكلية المسؤولة عن كقام كشف الصفات ولهذا كانت عارية الصدر ، إذ في الصدر القلب ، وفي القلب تتقلب الخواطر واللمم ، وفي التقلب سر الصفات الجامع للخير والشر . وقول المدربة لي إني أجيد السباحة وجوابي أني أريد معرفة الأصول فهو كناية عن العمر الذي قضيته من قبل طالباً الحقيقة وكتبت المؤلفات الطوال عن حقيقة الايمان والالحاد ، وهل العقل هو طريق الايمان أم الارادة ، وهل الأخلاق طبع أم تطبع ، وهل الانسان مخير أم مسير . ونشداني علم الأصول هو طلبي الحقيقة الالهية الجوهرية الأصولية ، ولهذا قلت للمدربة إني أريد تعلم الغوص بشكل عمودي .

وسباحتي مع المدربة تدربي على فهم سر الصفات الأعظم ، وهو علم عظيم حارت البرية فيه ، ولا يمكن فهمه إلا بمرافقة وعناية النفس الكلية أو الروح أو الوحي الذي يعلم السالك أصول هذا العلم . ووصولي إلى الأطفال ولادة روحية

علمية ، والشباك العلوق بشباك الذات الكلية ، وهو مقام أعظم خاص بالأمة المحمدية وفيه تنمحي الأسماء أو الصفات ولا يبقى إلا الذات التي هي تكثر من جانب الخلق عن طريق الفيض وتوحد من جانب الحق ، ولذلك وجدت الباحث عن اسم طفل لم يجد ضالته فمزق الأسماء جميعا . فعند مقام قاب قوسين أو أدنى أعلن جبريل أن لو تقدم أنملة لاحترق . وأعلن الشيخ الأكبر أن ههنا يتم اللقاء بين طرفي قوس الحق وقوس الخلق .

وعودتي من الرحلة رجوعي من عروج علم الكشف الذي قضى فيه الامام الغزالي عشر سنين متنقلاً بين دمشق والقدس معتكفاً في مئذنة الجامع الأموي والمسجد الأقصى متبتلاً خائضاً عباب البحر الأعظم . ووصولي والظلام قد حل هو إسدال الستار على مسرحية علم الكشف والعودة إلى الخلق وعالم الحواس والحس والعيان الذي عبر عنه بالظلام للتبشير بعلم التوحيد الذي لا يقدر عليه إلا الراسخون في العلم وهم أصحاب العناية الذين سبقت لهم من الله الحسنى .

*

« رؤيا »

رأيت زوجتي سميرة تتجادل مع رجل بيروتي قال إنه سيسكن بجوارنا . ولقد أصلحت ذات بينهما ، ولما دخلت زوجتي البيت أراد رجل غريب التسمع عليها فحلت بينه وبين تحقيق ذلك .

التأويل

جدال زوجتي مع الرجل البيروتي هو جدال الذات مع نفسها إذ الرجل البيروتي رمز لتجلي الروح ، إذ بيروت تشارف البحر والبحر الروح . ولقد أعلن الرجل أنه سيسكن بجوارنا شهراً ، وهذا الشهر هو زمان كشف الذات نفسه للعارف وفيه تتم النجوى والمكالمة ، وهو ما يسمى برؤيا اليقظة ، ثم تختفي شمس الذات وتسكت عن الكلام ولا يبقى إلا الصفات المعبرة عن نفسها بالصور في رؤى الأحلام ليستمر مد العارف من عالم الغيب ومن علمه . قال الشيخ أرسلان : لو

غبت عني غمضة عين لتقطعت من ألم البين . وقال الجنيد : تنام عيوننا ولا تنام قلوبنا .

وهذا الكتاب هو نتائج هذا العلم الذي لو عرض على غير أهله لقالوا أضغاث أحلام وكل انسان يراها ، وجوابنا أن الرؤيا الصادقة نفحة نبوية وهبة قدسية ، وتأويلها يحتاج إلى اجتياز مقامات علمية أهمها علم كشف اليقظة . وأنشد الشيخ الأكبر :

الوحي بالشرع قد سدت مغالقه ... وليس ينكر ذا إلا الذي كفرا
لم يبق منه سوى ما الشخص يدركه ... في نومه أو بكشف هكذا ظهرا
وفيه مزج رقيق ليس يعرفه ... إلا الذي يعرف الآيات والسورا
فينزل الشيء في رؤياه منزلة ... بآية فهي قرآن لمن نظرا
في جمعها والذي تحويه من عبر ... وحياً صحيحاً لنا به القضاء جرى
فاسلك طريقتنا إن كنت ذا نظر ... ولا تعرّج بنا إن كنت معتبرا
قد يخطىء العابر الرؤيا يعبرها ... وقد يصيب كما روّيته خبرا
عن النبي رسول الله سيدنا ... فيما تأوله الصديق لو عثرا
أصاب بعضاً وأخطا بعضه وبذا ... أتى الحديث الذي رويته أثرا

وإصلاحي ذات البين في الرؤيا الجمع بين الأضداد ، إذ لا تضاد في مركز الكون الذاتي ، وهنا ثمّ سر آخر سمي السر الذاتي ولا يستحق كشفه إلا لمستحقيه العارفين ، ولذلك حلت بين تسمع الرجع على زوجتي السميرة المرافقة التي هي أقرب إلى الانسان من حبل الوريد .

*

« رؤيا »

رأيت غراباً أسود اللون يواقع طيراً مختلف الألوان ، ثم تغير الوضع فإذا الغراب الأسود تحت والطير الملون فوق ، وتحول وجه الطير الملون إلى وجه إنسان .

الطير الروح ، والغراب الأسود الروح الحيواني المتصل بعالم الحس الذي رمز إليه بالسواد . ولقد كان الغراب يواقع الطير الملـون . فظاهـراً يبـدو العالـم الظاهري هو الفاعل المحرك المتحرك في حين انقلبت الآية فإذا الطير الملون هو الذي يواقع أي يفعل بالغراب . والطير الملون روح الصفات أو الروح الجامع للصفات أو الروح الكلي . فالروح الباطن الساكن هو المحرك لروح العالم الحيواني الظاهـر بهيكل العالم ذاته ، والعالم ظاهر الله أو مجلاه ولذلك رأيت وجه الطير قد انقلب إلى وجه إنسان ، والوجه الذات في علوم التأويل . ومن هنا قالت المتصوفة إن الله هو الفاعل على الحقيقة وإن العالم تجل له ومظهر لفعاليته وفعله . وقال سبحانه : فعال لما يريد .

*